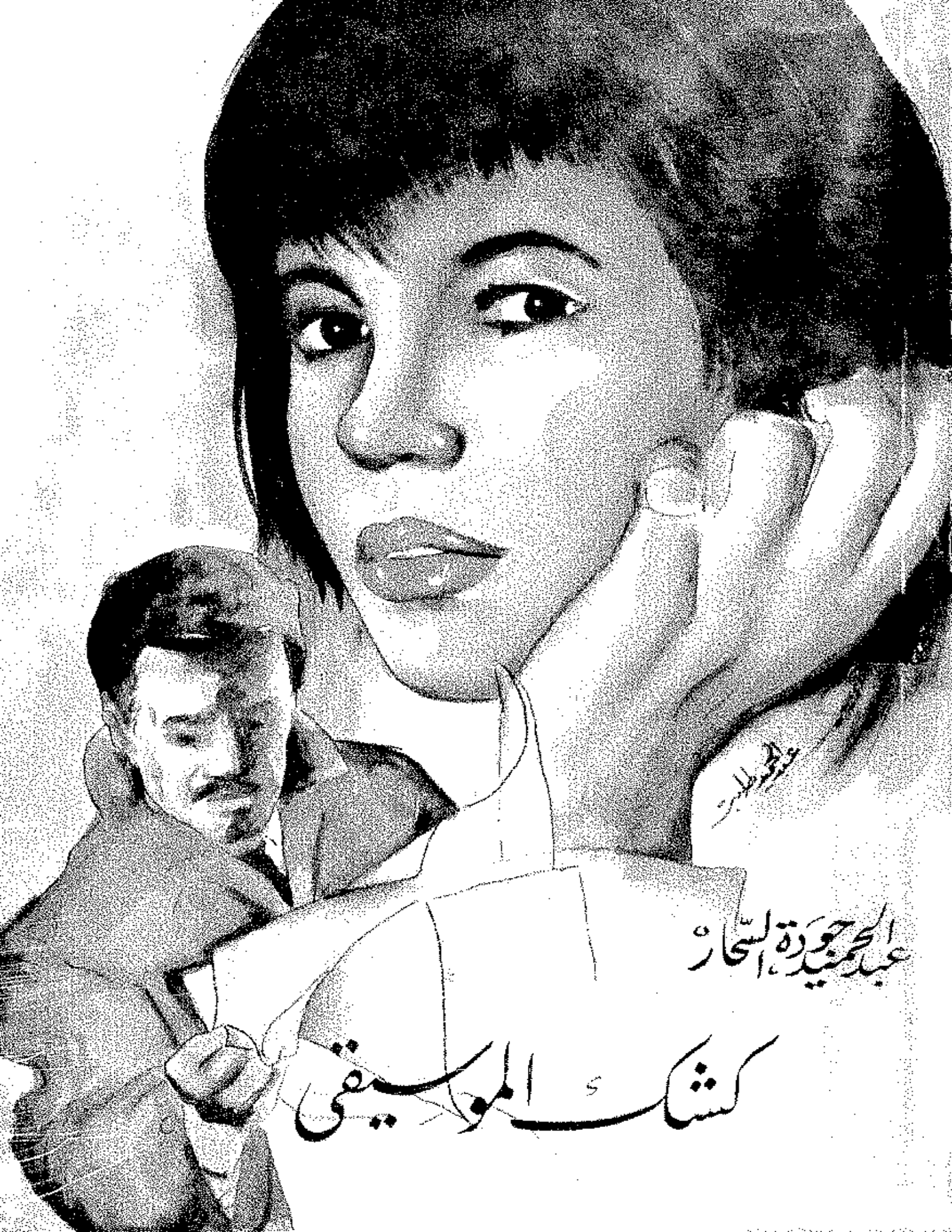

عبد الحميد جودة السحار

كشك الموسيقى

مطبوعات مكتبة مصر

كشك الموسيقى

تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر :

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي "الفجالة"

دار مصر للطباعة

سعيد جودة السحار وشركاه

صفقة

كان الرجل ينظر الى المروج الخضر من نافذة قطار الشرق وهو شارد ، كان غارقا فى تفكير عميق . انه منذ يومين وهو منطلق الى الغرب لا يشغل راسه الا موضوع واحد .. موضوع الاسلحة التى سيعرضها على وزير الحربية فى الامبراطورية التى يقصدها . انه يتسجل الزمن فالقطار يقطع المسافة بين مقر شركته والبلد الذى يقصده فى ثلاثة أيام ، فما كان الطيران قد عرفة بعد .

انه لم ير الوزير بعد ، ولكن شركته قدمت اليه صورته وبعض معلومات طفيفة لا تخدم من يقدم على صفقة كبيرة قد ترفع شركته الى مصاف الشركات الكبرى ، بل وتجعلها اكبر شركة تعمل فى توريد أسلحة الدمار .

ان الشركة نجحت فى أن تحصل على سر خطير .. سر تأهب الامبراطورية للهجوم على الدول المحيطة بها ، وقد نجحت فى ان تتصل بوزير الحربية وان تحدد ميعادا لاستقبال مندوبها للتفاوض على اتمام صفقة كبيرة تحقق اهداف الامبراطورية واهداف الشركة واهداف الجميع .

وطفت على سطح ذهنه احداث ذلك الاجتماع السرى الذى

ويرك القصة على المكتب ونهض مستأذنا وانصرف ، وما أن عاد الى غرفته بالفندق حتى تملكه خوف شديد .. انه تسرع بتقديم القصة .. ترى ماذا يكون مآله اذا رفض صاحب السعادة الرشوة وثار لكرامته واصدر امرا بالقبض عليه ؟ سيلقى به في السجن وسيحاكم بتهمة رشوة موظف عمومى ، موظف عمومى ؟ ! انها رشوة وزير واى وزير ؟ وزير الحربية ؟ !

وتضخمت مخاوفه فالقى نفسه يسير بين جنديين ومن خلفه جندى مدججين بالسلاح . انه راى هؤلاء الجنود الغلاظ فى ممرات الوزاره وهو فى طريقه الى مكتب صاحب السعادة . وقفز خياله الى بيته .. انه ترك ابنته وخطيبها على امل ان يكون الزمان بعد عودته . ترى أيفسخ الشاب خطبته من ابنته اذا ما بلغه انه قد قبض عليه وسجن ؟ انه سيفسخها من غير شك ليدرأ عن نفسه فضيحة زواجه من ابنة سجين . ولكن الشاب يحبها .. يحبها حقا ، انه لن يفسخ خطبته .. لا .. بل سيفسخها فالحب وحده لا يقيم أسرة ، والسنة الناس قادرة على تقويض اى بيت يهب عليه أعصار الريبة . الريبة ؟ انها ليست ريبة .. انه اليقين .

وزوجتى ؟ يا للمسكينة ! كيف ستعيش بين الناس بعد الفضيحة ؟ سينبذها المجتمع .. سيفر منها الناس لانها زوجة سجين . انا وحدى الذى اخطأت . الناس كلهم خطاءون . ذنبى ان خطئى كشف عنه الغطاء .. اما اخطاؤهم فلا تزال مستورة ، والويل لمن يفتضح أمره بين الخطائين .

وارتمى على السرير وهو يصيح فى حنق :

ـــ قساة .. قساة .. غلاظ القلوب .

و مدد ملابسه على الفراش وحاول أن يطرد عن راسه تلك

افكار السود ، ولكن الخواطر راحت تتوافد على ذهنه توافد الموج . انه راح يفكر في شركته بعد أن افتضح أمره .. ان مجلس الادارة الذى اجتمع قبل سمره وفوضه في فعل كل شيء واى شيء ليحصل على الصفقة قد اجتمع وقرر فصله وارسل كتابا الى مساعدة الوزير يعتذر فيه عما ارتكب مندوبها من حماقة وتهور ، ويبدى شديد أسفه على الفعلة الشنعاء التى نال مرتكبها ما يستحقه من عقاب .

وهب من رقدته مذعورا واخذ يذرع الغرفة جيئة وذهوبا وهو يترقب ، يلتفت بين لحظة واخرى ناحية الباب . انهم سيقدمون ليلقوا القبض عليه . ماذا ينتظر ؟ لماذا لا يحمل حقائبه ويفر . ولكن اين المفر ؟ وهو الآن ولا ريب تحت الحراسة .

وضع فى جوفه فحيح سرى فيه مسرى السم : متهور .. مندفع .

انها همسات مرءوسه الحاقد الذى يطمع فى مركزه .. انها وخزاته التى يخزها فى خبث ودناءة ، فيا لفرحته يوم يأتى نبأ القبض عليه .. سيقول فى زهو وشماتة : الم اقل لكم ؟ الم احذركم ؟ كنت أكثر منكم فراسة . لو اطعتمونى لدراتم عن الشركة الفضيحة الفاتلة . انني ارجح منه عقلا واكثر منه حنكة ، فلو كنتم ارسلتمونى لاتمام تلك الصفقة ، لما انهارت اسهم الشركة ولما اشرفت على الافلاس .

ان مرءوسه يتمنى أن يزاح من طريقه .. انه يذكر تلك الأيام القاسية التى دهمه فيها المرض . كان مرءوسه يأتى كل يوم ليطمئن الى انه لن يشفى من مرضه ولن يعود الى عمله .. من حق كل انسان أن يتمنى لنفسه ما يشاء من الأمانى ولكن ليس على جثث الآخرين ونكباتهم .

رحلت منه التفاتة الى صورته فى مرآة الغرفة ، فراعه ذلك الشحوب الذى اعتراه . انه يكاد أن ينقض من الاعياء .. الغرفة تدور به .. انه يستشعر اختناقا .. ليت الباب يفتح ويلقون القبض عليه ليستريح من قسوة الترقب والانتظار . ولم يستطع ان يظل منتصبا على قدميه فارتمى على الفراش يشـــهق فى قوة ، ويزفر الهواء وهو يرجو لو ان متاعبه تخرج مع زفيره .

وولج الليل فى النهار فساد الغرفة ظلام ، فهب مفزوعا يضىء الانوار لا أيفر من الظلمات بل ليهرب من نفسه . وعاد الى الفراش وصوب عينيه الى السقف ولم يكن يرى شيئا ، فالأحداث التى كانت فى خاطره كانت أوضح من كل ما يراه .

ودقت ساعة الفندق معلنة انتصاف الليل وهو يتقلب كأنما يتقلب على جمر لم يغمض له عين ، وراح الوقت يمر بطيئا ثقيلا . وبعد مدة كأنها دهر دقت الساعة الواحدة فأسدل جفنيه على مقلتيه لعل النوم يطوف به ولكن هيهات .

ان الصور تتداخل فى رأسه .. صورة ابنته وخطيبها . ثم صورته وهو يسير بين جنديين شديدين وخلفه جندى ثالث وهم شاهرو اسلحتهم ، ثم صورة مجلس الادارة ، وصورة زوجته . ثم صورة مرءوسه الحاقد وهو ينفث سمومه فى كل مكان .

ودقت الساعة معلنة الثانية صباحا فقام يظل من النافذة لعل الهواء البارد يطرد ما فى رأسه من أشباح ، أو لعـــله يتجمد من البرد ويستريح . ولكن شيئا من ذلك لم يحدث فعاد وارتمى يائسا فى الفراش

ونال منه الاعياء فراح الوسن يداعب جفنيه ، وسمع الساعة

تدق الثالثة فى صوت خافت كأنما يأتى من أعماق سحيقة وما لبث أن راح فى سبات .

وهب من نومه مذعورا على صوت طرقات على الباب ، وفى مثل لمح البصر تذكر كل شىء .. انهم يأتون ليقبضوا عليه . وسار الى الباب يترنح فلما فتحه وجد جنديا يقول فى لهجة آمرة :

ـــ صاحب السعادة الوزير يطلبك الساعة .

وأخذ يجمع شتات نفسه ويقوى عزيمته . انه قد انتهى فليس من الحكمة أن يبدو جبانا . وارتدى ثيابه وجعل يبالغ فى تأنقه ، ثم سار وفتح الباب وانطلق ثابت الخطو يحاول أن يبدو هادئا وان كانت روحه تكاد أن تفر بين جنبيه رعبا .

وقاده الجندى الى مكتب صاحب السعادة . فما ان ولج الباب حتى الفى الوزير منطلق الوجه وعلى شفتيه ابتسامة عريضة وهو يتقدم ليقابله فى منتصف الغرفة وقد مد له يده ليصافحه فى ود وترحيب .

اين مقابلة اليوم من مقابلة الأمس ؟ وفى لحظة مات كل خوف واشرقت النفس بالأمل .

وجلس الرجل فى مقعد وثير وجلس صاحب السعادة امامه وهو يرحب به ترحيبا حارا ثم قال :

ـــ كانت القصة ممتعة .. انها من اروع القصص التى قرأتها فى حياتى ..

وقال الرجل فى مرح :

ـــ كنت على ثقة من أنها ستروق سعادتك .

وتململ صاحب السعادة فى كرسيه وقال :

ـــ ولكن للأسف ..

فقال الرجل فى خوف :

ـــ ماذا يا صاحب السعادة ؟

ـــ لم تكتمل متعتى .

ـــ لماذا يا صاحب السعادة ؟

ـــ ان هذه القصة من ثلاثة اجزاء ،ولم تعطنى الا الجزء الاول منها ، فلما أتممت قراءته ازددت شوقا الى الجزاين الآخرين ، حقا ان كل جزء منهما فى الف صفحة ولكنى التهم مثل هذه القصص التهاما .

ـــ ليسمح لى صاحب السعادة ان آتيه الليلة بالجزاين الآخرين ؟

فقال صاحب السعادة فى بساطة وود :

ـــ انى ادعوك على الغداء يا صديقى ولتات بالجزاين معك لاننى احب القراءة بعد الغداء .

ونهض الرجل وصافح صاحب السعادة وانصرف بقامته القصيره وهو يحس انه قد بلغ السقف طولا .. حتى انه طاطأ راسه ليمر من الباب .

روما ١٩٧٣/٦/٢٠

To: www.al-mostafa.com

معقول

وضعت أضابير الكسب غير المشروع على نضد جلس خلفه ثلاثة قضاة ، ومد كل منهم يده وجذب ملفا راح يقرؤه فى امعان ، ثم رفع أحدهم رأسه والتفت الى كاتب الجلسة وقال وهو يدفع اليه بالملف :

ـــ يستدعى صاحب هذا الملف لجلسة الاسبوع الاخير من الشهر القادم ..

وساد الصمت ثانية فقد عاد القضاة الى فحص الملفات وقد ظهر على وجوههم الجد والاهتمام ، وأخذ كاتب الجلسة يسجل كل ما تتحرك به الشفاه . وارتفع صوت أحدهم فجأة قال :

ـــ انى سأتنحى عند نظر هذا الموضوع .

فالتفت زميلاه اليه وقال أحدهم :

ـــ لماذا ؟

وبدا مع حب الاستطلاع مد يده واخذ الملف من زميله وراح يفحص عنه فى اهتمام ، ثم قال مداعبا :

ـــ لا أرى تشابها بين اسمك واسمه .

فقال الاول فى هدوء :

ـــ لا توجد صلة قرابة بينى وبينه ، ولكنه كان زميلى فى الفصل .

ـــ وهل هذا عذر كاف لتتنحى ؟ !

ـــ انه لم يحصل الا على البكالوريا ، وهو يذكر فى اقراره انه يملك مائة وخمسين الفا من الجنيهات .

فقال الذى كان يقلب صفحات الملف :

ـــ ولم يذكر من أين جاءته هذه الثروة .

فقال ثالثهم :

ـــ لعله ورثها او ورث بعضها ، فالمال يتكاثر فى كل عصر .

فقال الاول :

ـــ انه كان كثيرا ما يتأخر فى دفع مصروفات المدرسة ، وما كانت تزيد فى السنة على ستة جنيهات .. ولا احب ان اذكر اننا ـــ طلبة فصله ـــ كنا نتعاون على سداد الاقساط .

ـــ كل هذا لا يدعو الى أن تتنحى .

ـــ لكنى اعرف انه كان طوال حياته خاملا ، ولم يكن فى يوم من الايام أكثر من كاتب كآلاف الكتبة الذين تغص بهم مصـــالح الحكومة ، فمن أين له مائة وخمسون الفا من الجنيهات ، وانا لا املك مائة وخمسين الفا من المليمات وقد قاربت على سن المعاش .. لا احب ان احكم بما اعلم ، وأكره ان ارى صديقا قديما لى وهو امامنا يتوارى خجلا .. ويجفف عرقه ولا يجد لسانه .

فدفع الذى بيده الملف بالملف الى كاتب الجلسة ، وهو يقول :

ـــ هام وعاجل جدا ، يستدعى صاحب هذا الملف للجلسة الاولى من الشهر القادم .

فقال الاول :

ـــ لن احضر تلك الجلسة .. ينتدب من يحل مكانى .

ـــ بل تحضر وتتنحى عند نظر هذا الموضوع .

يجاء اليوم الموعود ، وفتح المصعد وخرج منه رجل اشيب تصير القامة دميم الخلقة يكاد يملأ وجهه أنفه الكبير ، وكان يرتدى بذلة من الموهير الاسود تتدلى من عنقه كرافتة تعلن أن لابسها من الاثرياء .

ووبج الرجل باب مقر اللجنة ووقف يتلفت لا يدرى اين يذهب ، فاذا باحد الحجاب يسرع اليه ويقوده الى غرفة بها نضد طويل جلس حوله بعض الرجال ، وخلف النضد شنن لحفظ الملفات ولفافات الحصر التى اسندت الى الحائط ، فاحس فى قرارة نفسه امتعاضا ولكنه توجة الى كرسى عند رأس النضد وجلس وهو يحيى الموجودين بايماءة خفيفة من رأسه .

وقال له الحاجب فى جفاء :

ـــ الاخطار .

فاخرج من جيبه مظروفا اصفر واخرج منه كتاب استدعائه ودفع به الى الحاجب فى ثبات ، وما ان استقر حتى راح ينقل عينيه فى الموجودين ... كان كل منهم قد جاء ومعه مستنداته .. وضعها امامه فى ملف او ظرف كبير او فى حقيبة من الجلد . ولوى شفته السفلى فى سخرية فقد جاء وليس معه مستند واحد يبرىء ساحته .

وكأنما ضاق الناس بالصمت الذى خيم عليهم ، وكأنما اراد كل منهم ان يفر من الوحدة القاتلة التى فرضها على نفسه ، فاذا بكل منهم يبث شكواه لجاره .. كان احدهم فى المعاش فراح يشرح مصدر ثروته التى يسألونه عنها بعد ان ترك خدمة الحكومة منذ خمس سنوات ، قال انه اشترى ارضا استصلحها ، وانه كان يبيع

محصولها ، وان مرتبه كان يمكنه من شراء الأرض فهو يسكن فى بيت الأسرة لا يدفع ايجارا ، وانه كان يعيش من الخيرات التى كانت تاتيه من البلد .

وتحدثت رجل فى عصبية ، قال انه يعمل فى شركة تامين .. حقيقة انه لا يحمل شهادة عليا ولكن نشاطه مكنه من ان يحصل على اموال كثيرة .. هل تعرف اللجنة حقيقة وظيفة موظف التامين ومقدار مولاته!!

وراح سائق يروى بلهجة بلدية فكهة مشكلته .. انه لم يعمل فى الشركة اكثر من شهر واحد ، فالبيت الذى يسالونه عنه قد ورثه هو واخوته الاربعة عن ابيه ، وقال :

ـ دا حتى بيت لا طلع ولا نزل .. يعنى خلاص ما فيش فى البلد دى حرامية الا احنا .

وانطلقت تعليقاته الظريفة فمحا ما خيم على المكان من كآبة ، واشاع البهجة فى النفوس القلقة الخائفة .

وجاء الحاجب واشار للرجل الأنيق ان يتفضل ، فسار فى خطى ثابتة حتى دخل على اللجنة فالفى اثنين يرمقانه من وراء مكتب صفت فوقه بعض الأضابير ، فأحس ان نظراتهما غير ودية فلم يحفل بذلك ، بل القى عليهما التحية فى رقة ، فلم يسمع لتحيته جوابا ، فجلس امامهما على الكرسى الخالى دون ان تختلج منه خلجة .

وبدأ احد الرجلين يلقى اسئلته وكاتب الجلسة يدون كل مايسمع :

ـ اسمك ؟

وقبل ان يفتح فمه كان الذى القى السؤال يجيب فى تؤدة ليكتب الكاتب الاسم . وقد عجب صاحبنا فى نفسه لذلك فهم يعرفون

اسمه من غير شك وقد استدعوه باسمه قبل أن يدخل ، ولم تسنح له فرصة أكبر للعجب والتعجب ، فقد صك أذنيه صوت الرجل العابس :

ـــ تاريخ ومكان ميلادك ؟

ـــ القاهرة عام ١٩١٨

ـــ الشهر .. ؟

ـــ ٢٧ مايو ١٩١٨

ـــ ذكرت في اقرار الذمة المالية أنك تملك عقارات وسندات قيمتها مائة وخمسون الفا من الجنيهات .

ـــ نعم .

ـــ لم تذكر في الاقرار مصدر هذه الثروة ، أآلت اليك عن ميراث ؟

ـــ لا .

ـــ هل دخلك من وظيفتك يسمح لك بتكوين مثل هذه الثروة ؟

ـــ لا .

فاعتدل الرجل العابس وقال :

ـــ فما مصدر ثروتك ؟

فقال الرجل الأنيق في هدوء وثبات :

ـــ زوجتي مانيكان .

تالقت المحقق الى زميله ، وسادت برهة صمت وسرعان ما أحس الرجل العابس أن عليه أن يصدر قرارا فاملى على كاتب الجلسة .

ـــ ستدعى الزوجة في الجلسة القادمة .

وقام الرجل الأنيق وخرج مرفوع الراس ثابت الخطو ، وسار

صوب المصعد والحاجب يسير أمامه مرة وخلفه مرة وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة .. ابتسامة يعرف الرجل الأنيق كل ما فيها من سر وعلانية ، حتى اذا ما بلغا المصعد ضغط الحاجب على الزر وهو ينحنى انحناءة خفيفة كلها ملق . فلما صعد المصعد وفتح الباب وضع الرجل الانيق جنيها فى يد الحاجب ، فاذا بابتسامته تتسع ، واذا بانحناءته تزداد ، وقبل ان يغيب الرجل الأنيق فى المصعد لمح الحاجب الآخر وهو يرقبه وهو يضع الجنيه فى يد زميله ، ولمح التقطيب الذى علا وجهه فاستشعر راحة ففى المرة القادمة ستكون المقابلة اكثر ودا وترحيبا ..

ومرت الأيام وجاء اليوم الموعود ، وانفرج المصعد عن الرجل الأنيق الأشيب دميم الوجه وعن فتاة رائعة الحسن قد كشفت عن ساقين متناسقين وركبتين لا ضخامة فيهما ولا اعوجاج ، قد خرج منهما فخذان صورهما مبدع الجمال فاتقن خلقهما .. سارت يتقدمها مهدان شامخان يتطلعان الى الكون كله فى تحد وغرور واعتزاز .

وسبقها أريج عاطر نفاذ جعل كل الذين كانوا حول النضد المتواضع فى غرفة الانتظار يديرون رءوسهم الى الممر فى ترقب وانتظار . فاذا بالحاجبين يسيران ينظران مرة الى الخلف ومرة الى الامام لكأنما كانا مكلفين بافساح الطريق أمام موكب رسمى خطير ، واذا بالرجل الدميم والى جواره تحفته الرائعة التى كشفت فى لمحة عن خائنة أعين الجميع وان كان اغلبهم ممن احيلوا الى المعاش ، وراح كل من فى قاعة الانتظار يفسح مكانا الى جواره وهو فى ثرارة نفسه يتمنى أن تجلس الحسناء بالقرب منه لحظات ليريح ذهنه المكدود ويسعد بلذة لم يعد له نصيب فيها الا متعة

النظر والخيال . ومفاجأة أصيب الجميع بخيبة أمل فقد سار القبح والجمال فى الممر الطويل الى باب اللجنة .. الذى خف أحد الحاجبين وفتحه وقد انحنى انحناءة ترحيب ، وانفرج فمه عن أسنانه البيضاء وقد غمرته راحة حقيقية ، فجمال المرأة كان يدغدغ الحواس ويملأ الوجدان بالأحلام .

ودخل الرجل وقدم زوجته الى اللجنة وكانت من نفس العضوين اللذين استجوباه أول مرة ، فاذا بالرجل العابس يبش وينهض ويشير الى كرسى أمامه لا ينفصل بينه وبينه الا المكتب الذى وضعت فوقه بعض الأضابير ، وأشار فى ود وقال فى صوت رقيق عذب كان وقعه غريبا فى أذن الزوج الأشيب :

— تفضلى .

فجلست الحسناء ووضعت ساقا فوق ساق ، فاذا بكاتب الجلسة الذى كاد يرى ما لا يرى يتغير لونه ويجف ريقه ويحس أنه فقد لسانه ، فتمنى فى قرارة نفسه الا يسأله أحد سؤالا يحتاج منه الى جواب ، فلو أن أحدا فعل فسيتهدج صوته وينكشف الغطاء عما يكابد من انفعالات .

وبعد أن سألها أحدهما عن اسمها وسنها ومكان ميلادها المبارك قال :

— انهنئ من فضلك .

فمالت وهى تميل بصدرها نحو المكتب ، فبدو لعينى الرجلين الأخدود الرائع الذى حفر بين نهديها من منبعه الى مصبه كسر يكاد يبوح بمكنونه ويميط اللثام عن مصدر الثروة التى ذكرت فى الاقرار :

— مانيكان .

ولم يكن هناك ما يحتاج الى بيان والبرهان ماثل امام الاعين ، ولكنها ارادت ان تزيد الموضوع وضوحا فقالت فى الفة :

ـــ عرضت ازيائى فى باريس ولندن ومدريد .

فقال احد الرجلين فى خبث :

ـــ الم يكن للبلاد العربية نصيب ؟

فقالت وقد فطنت الى ما يهدف اليه وعلى شفتيها ابتسامة آسرة :

ـــ كانت اول جولاتى فيها .. الكويت .. قطر .. البحرين . كنت فى الشتاء الماضى فى دبى .

وقال الرجل الآخر :

ـــ شكرا لك .

ونهضت ونهض الرجل الاشيب وسارا .. هو يتقدمه انفه .. وهى يتقدمها ثديان بسملان عينى الحاسد ، فلما غابا من المكان نظر احد المحققين الى الآخر وقال :

ـــ مائة وخمسون الف جنيه ؟

فقال زميله :

ـــ تستاهل .

والتفت الى كاتب الجلسة وقال :

ـــ يحفظ .

روما ١٩٧٣/٦/١٦

أرملة من فلسطين

اقتربت المضيفة من على — وكانت ترتدى ثوبا فى زرقة السماء الصافية فصل على هيئة شوال — وهى تقوم بخدمة ركاب الطائره ، فاشار لها اشارة خفيفة مخفت اليه مبتسمة تسأله عن حاجته .. فطلب فنجان قهوة سادة . وانطلقت المضيفة بقامتها الفارعة الى مطبخها الصغير الانيق وثوبها يتثنى فى الفراغ بين الاكتاف والارداف ميجسم مفاتنها الصارخة .

والتفت على عن يساره فوقعت عيناه على امراة سمراء البشرة عسلية العينين يحدهما من اسفل هلال اسود ، ترتدى ثوبا كحليا من قطعتين ، وراحت تقرأ فى كتاب « البنات والصيف » ، وقد تركت المقعد الذى يفصل بينه وبين الممشى الضيق خاليا ، وجلست فى المقعد التالى له ، ووضعت المجلات الاخرى التى كانت تحملها فى الجيب المشقوق فى ظهر المقعد الذى كان أمامها .

وعادت المضيفة تحمل فنجان القهوة وفنجان شاى ، ووضعت القهوة امام على ووضعت الشاى أمام السيدة السمراء التى كانت منهمكة منذ الآن تكنس وجهها ، واخذ على يحتسى القهوة . ولمح من طرف عينه السيدة السمراء تخرج من حافظتها زجاجة صغيرة

تضع منها بعض قطرات فى حرص فى الشاى ، ثم تعيدها الى مكانها .

واسترخى على فى مقعده ، والتقت عيناه اكثر من مرة بعينى السيدة وقرأ فى نظراتها نداء أحس وقعه فى فؤاده ، كان نداء غريبا على مشاعره لم يعرف تأويله ، وظل حائرا مدة فى تفسيره ولم يخطر له على قلب أنه نداء يشوبه ظل من الجنس ، فقد كان البريق المشع من عينيها يحرك الجوانب الطيبة فى نفسه .

وهبطت الطائرة فى مطار بنينه ، وأسرع على الى الاستراحة دون أن يلتفت الى السيدة ، كان الجو حارا والمكان مكتظا بالايطاليين والامريكان ، والمراوح القليلة المتدلية من السقف عاجزة عن تجفيف عرقه المتصبب فأخرج منديله وراح يمرره على وجهه ورقبته وقفاه .

وأقبل الجرسون الليبى ووقف أمامه فقال على :

ـــ قهوة جدجد .

ومس الطلب اذنى شاب جالس بالقرب منه فالتفت اليه فى فضول ، وفطن على الى ما فى نظرات الشاب من تساؤل فابتسم له وقال :

ـــ هذه اول مرة تزور فيها ليبيا ؟

فقال الشاب فى راحة :

ـــ نعم ، ولن امكث فيها طويلا .

ـــ الا تشرب شيئا ؟

ـــ شكرا .

ـــ اعرف أن ليس معك نقود ليبية بعد ، لا تهتم بذلك فمعى نقود ليبية كثيرة ، اننى اعمل هنا من ثلاث سنوات .

وأشار على الى الجرسون أن تعال ، ولما جاء قال على للشاب :

ـــ « أتشرب « بمبة » أم قهوة جدجد ؟ !

وبانت الدهشة فى وجه الشاب فلم يدر ماذا يختار ، ولم يتركه على لحيرته بل قال :

ـــ قهوة جدجد اى قهوة « تدقد » اى سكر « ع الريحة » ، فما رأيك ؟

ـــ أهى مثل القهوة المصرية ؟

ـــ لا انها قهوة بنها مجروش لن تعجبك .. افضـــل لك « بمبة » .

وقبل أن يقول الشاب شيئا قال على للجرسون :

ـــ بمبة ..

وذهب الجرسون وقال على للشاب :

ـــ سنتناول قهوة مصرية فى بيتى ، اننى قاطن فى طرابلس بالقرب من فندق مهارى .

وظل وجه الشاب جامدا لم يزده على علما بشىء ، انه لم ير طرابلس من قبل ولا يدرى أين يقع ذلك الفندق الذى يتحدث عنه ، وقال الشاب :

ـــ اشكر لك دعوتك .

وعاد الجرسون ووضع القهوة أمام على ووضع كوبا به سائل أبيض فى لون اللبن أمام الشاب ، ونظر الشاب الى الكوب مليا وقال :

ـــ أهذه هى « البمبة » ؟ !

ـــ نعم انها لذيذة ـــ

ورفع الشاب الكوب الى فمه ورشف منها فى حرص ثم قال :

ـــ لذيذة ! يخيل الىّ اننى شربت هذا الشراب من قبل .

فابتسم على وقال

ـــ انها سوبية .

ورشف على من الفنجان رشفة ، ورفع عينه الى الجرسون وقال وهو يهز رأسه استحسانا :

ـــ « باهى » .

واشرق وجه الجرسون بابتسامة عريضة وانصرف راضيا ، وقال الشاب :

ـــ ما معنى باهى ؟

ـــ معناها « حسن » ، وقد سمعت فى ليبيا انها كلمة عربية ولكننى لا افهم فى اللغة شيئا .

فقال الشاب وهو يضحك :

ـــ « باهى » فعلت .

فقال على وهو مسرور :

ـــ لو كانت كلمة عربية لوجب أن تقول : « باهيا فعلت » .

وراح الجرسون يمر على الموائد وهو يعرج ، ولمح على اثار الالم فى وجهه فقال له لما دنا منه وهو يشير الى رجله :

ـــ ماذا بك ؟

فقال الجرسون وقد ارضاه أن يهتم غريب بأمره :

ـــ « كراعى » تؤلمنى ، ارتطمت بمقعد هذا الصباح .

واستانف الجرسون عمله ، ولما ابتعد قال الشاب :

ـــ كراعه تؤلمه ؟ ! ما هى كراعه ؟

ـــ ساقه .

ـــ الساق اسمها كراع ؟ !

ـــ انها من الكارع .

ومر بعض الوقت ، واقبل الجرسون وقال :

ـــ ستتحرك الطائرة بعد خمس دقائق .

فقال على فى هدوء :

ـــ واتى .

وأخرج من جيبه حافظة نقوده ودفع ثمن ما شربه وما شربه الشاب ، وابتعد الجرسون وقال الشاب فى صوت خافت وهو يقدح زناد فكره محاولا أن يفهم معنى الكلمة :

ـــ راتى ! واتى ! ..

فقال له على وهو يبتسم :

ـــ لا تجهد نفسك ، انها ليست كلمة عربية ، انها كلمة بربرية ومعناها : أنا مستعد .

وضحك الشاب وقال :

ـــ وأنا « واتى » .

وجاء رجل يسعى ووقف فى وسط المكان وصفق ثم قال :

ـــ تفضلوا ..

ونهض المسافرون الى طرابلس ليستأنفوا رحلتهم ، وسار على والشاب الى الطائرة ، وقبل ان يصعدا فى الدرج التفت على الى الشاب وقال :

ـــ لا تنس انك مدعو لشرب القهوة المصرية فى بيتى .

ـــ شكرا لك .

ـــ بعد ساعتين من الملل والفراغ سنحتسى القهوة المصرية معا ان شاء الله .

ـــ ان شاء الله .

وغابا فى الطائرة ، وانطلق على الى مقعده والتفت الى السيدة السمراء فألفاها قد اضطجعت فى مقعدها وسقط رأسها على

صدرها وغابت عن الوجود ، وجعلت تشهق وتزفر فى جهد وقد تفصد العرق من وجهها ، فخف اليها وجلس فى المقعد الخالى الى جوارها وتناول يدها وجعل يدلكها بيدية ، ثم رفع يده وراح يضرب خدها فى رفق لعلها تفيق دون جدوى ، فنادى المضيفة فجاءت بسرعة فقال لها فى لهفة :

ـــ كولونيا من فضلك .

وهرولت المضيفة بجسمها الفارع وغابت قليلا فى مقصورتها وما لبثت أن عادت مسرعة تحمل زجاجة الكولونيا ، فبسط لها كفه فصبت فيها الكولونيا ، فأدناها من أنفها ثم راح يمسح بيده وجهها وجيدها .

واضيئت اللافتة التى تأمر الركاب بربط أحزمتهم ، فلف حزام المقعد حول وسطه ومد يده ليلف حزامها ولكنه احجم ، أحس كأن رجلا آخر يتلبسه يصيح به فى زجر الا يفعل ، وانكمش أمام ذلك الصوت الناهى وشلت حركته ، وأشار الى المضيفة ان تربط لها حزامها ففعلت ثم اسرعت الى مقعد خال وجلست فيه ولفت الحزام حول وسطها .

وزاحت الطائرة تدرج على الأرض ثم ترتفع فى الجو وهو يدلك يديها فى رفق ويربت على خدها فى حنان حتى فتحت عينيها ، ولما رأته ابتسمت له ابتسامة شاحبة ، وترجم البريق المتألق فى عينيها عن شكرها ورضاها .

ورفعت رأسها واعتدلت فى مقعدها قليلا ، فقال لها :

ـــ كيف أنت الآن ؟

ـــ أحسن .

وانتظم تنفسها وعادت الحمرة الى خديها ونبضت الحياة فى

عينيها ، وظل الهلالان الأسودان اللذان يحدان عينيها من أسفل على حالهما ، ومال نحوها وقال لها :

ـــ أهذه أول مرة يحدث لك فيها هذا الذى حدث ؟

فقالت فى نبرات يشوبها أسى :

ـــ حدث لى ذلك مرة قبل اليوم ، وقد عرضت نفسى على الطبيب فقال لى أن دورة الدم غير منتظمة ، ولكننى فهمت أن قلبى ضعيف .

ـــ ومن أين جاء هذا الفهم ؟

ـــ وصف لى أن أتناول أربع نقط من الكورامين ثلاث مرات فى اليوم ، فاذا لم يكن قلبى ضعيفا فلماذا وصف لى الكورامين ؟

ولم يكن يفقه شيئا فى الطب ولكنه أحس رغبة فى أن يدخل الطمأنينة على نفسها الواجفة فقال فى حماسة :

ـــ وصف لك الكورامين ليعاون على انتظام دورة الدم ، لقد وصف لى الطبيب مرة استعمال الكورامين مع أن قلبى سليم ، انه علاج عارض .

وصمت وراح يسأل نفسه : لماذا كذب ؟ وما الذى دفعه الى هذا الكذب ؟ وقبل أن يسترسل فى حساب نفسه قالت له :

ـــ أظن انك رأيتنى وأنا أضع الكورامين فى الشاى ؟

ـــ نعم .

والتقت عيناها بعينيه . كانت نظراتها اليه تختلف عن النظرات التى حار فى أمرها ، انها نظرات راضية تدعوه الى الاسترسال فى الحديث الذى ينزل السكينة على قلبها ، بينا كانت نظراتها التى فهمت عليه تتوسل اليه أن يخف اليها ليحميها من الغيبوبة التى كانت تزحف لتحجبها عن وعيها .

ورفت على شفتيها بسمة وقالت :

ـــ احسست اننى سأغيب من الوجود قبل أن تهبط الطائرة فتمالكت ، حتى اذا ما استقرت الطائرة على أرض المطار اسرعت الى غرفة المضيفات وتمددت فى سرير الايسر للدم الصعود الى رأسى . وقد احسست بالراحة فعلا ولكن ما ان عدت الى الطائرة حتى شعرت بالاغماء يعاودنى .

ـــ لعلك اجهدت نفسك فى الايام الاخيرة .

ـــ عدت بالطائرة من الاسكندرية الى القاهرة ، ومن القاهرة ركبت هذه الطائرة .

فقال على فى دهش :

ـــ أنت مصرية ؟

فهزت رأسها أن نعم ، فعاد على يقول فى انكار :

ـــ ان من يراك يحسبك سورية .

ـــ حقا ؟ !

ـــ انت سورية على الرغم من سمرة بشرتك ، التقاطيع .. الانف .. الدم .. حتى لهجتك .

فقالت وقد اشرق وجهها بابتسامة حلوة :

ـــ ابى مصرى وامى فلسطينية .

ـــ وأين ولدت ؟

ـــ فى القدس .

ـــ واين ابوك الآن ؟

فقالت فى بساطة :

ـــ مات والتحقت به امى .

فقال على مواسيا :

ـــ هذا حالنا ، وانا ايضا مات ابى ولحقت به أمى ..

فقالت فى مرارة :

ـــ ان كان ابوك وامك قد ماتا فقد بقى لك وطنك ، أما انا فلا وطن لى ..

فقال على وقد اتسعت عيناه :

ـــ الم تقولى ان اباك مصرى ؟

ـــ ولكننى ولدت فى القدس ، وعشت فيها وتفتح شبابى عليها ، اننى فلسطينية ، ولقد عشت النكبة وقت مرارتها وتجرعت كاس التشريد ، اننى مذ فررت من وجه الطغيان اهيم على وجهى تائهة فى هذه الدنيا الواسعة ، وكلما مرت الايام ازداد احساسى بوحدتى بشاعة ، واتصور احيانا ان العالم كله يمقتنى .. هدفه أن يسحقنى ، ويا ليته يقضى على دفعة واحدة الاستريح ، ولكنه يتفنن فى تعذيبى . اننى لا اظن ان الزمن قد عذب احدا كما عذبنى .

فقال لها على فى اشفاق :

ـــ أوهامك تصور لك ذلك ، انت مريضة بالوهم .

فابتسمت فى استخفاف وقالت :

ـــ يا ليت !

ـــ الكوارثين .. ضعف القلب .. قسوة الحياة .. كلها اشياء من خلقك انت .

فقالت وقد غامت صفحة وجهها بسحابة من الاسى :

ـــ لولا اننى لا اريد أن اثقل عليك لقصصت عليك قصتى .

فقال على فى صدق :

ـــ انه لما يشرح صدرى أن اصغى اليك .

ـــ ولكن قصتى لا تشرح الصدر .

وينظر اليها طويلا دون ان ينبس بكلمة ، وشرد مفكرا .. كان يبحث عن الالفاظ التى تترجم عن الاحساس الجياش الذى يملأ جوانحه ، وضاق بالصمت الذى ساد بينهما فقال :

ـــ قد تستريح النفس الى حديث فياض بالأسى وتنفر من حديث زاخر بالمرح ، العبرة فى أن يتفتح القلب للقلب ، وقلبى الآن متفتح لكل ما يخرج من بين شفتيك .

وأسبلت جفنيها على عينيها .. يهرها ذلك البريق المتألق فى عينيه . وظل يرمقها فاستشعر ميلا اليها ، انها قريبة اليه .. اقرب من ذلك الفراغ الذى يفصل بين مقعديهما ، وقال :

ـــ قولى كلى آذان .

والتفتت اليه بكل جسمها ، وراحت تقص قصتها فى صـــوت مشوب بأسى ينفذ الى القلب ويحرك مواجع النفس ، قالت :

ـــ كان بيتنا فى القدس ، وكانت مدرستى فى شارع الملك داود ، فكنت أذرع الشارع انا وصويحباتى فى الصبح وفى العصر ، ومرت الأيام والشهور والسنون زاخرة بالغبطة والآمال ، يزيد جمالها ما تضفيه عليها قلوبنا الشابة الخلية النابضة بأروع مشاعر الحياة .

وجاء اليهود الافاكون الى الوطن الحبيب من مشـــارق الارض ومغاربها فى حماية دولة الانتداب ، وبعد أن كانوا أذلة طغوا وبغوا واشتدت مطالبتهم بتنفيذ وعد بلفور المشئوم ، وقمنا للدفاع عن كياننا ولكن الانجليز كانوا يضربون على أيدينا بشدة ويتركون الافاكين يرتكبون الجرائم فى حمايتهم .

واعلن الانجليز انسحابهم من فلسطين بعد ان احكموا تدبير مؤامرتهم مع اليهود ، فراحت فلسطين ترقص على فوهة بركان ، وكثرت الاشتباكات والاغتيالات .

وفى ذات صباح كنت اجتاز شارع الملك داود وكنت قد بلغت التاسعة عشرة ، واذا بشابين يهوديين يعترضان سبيلى وقال احدهما : « نعلمين ان فتاة يهودية قتلت امس ، قتلها العرب » ، وارتجفت وتحركت لامر منوجهيهما واذا بصوت آمر يقول : « قفى ، ستموتين الآن كما ماتت اختنا بالامس » واخرج مسدسه وصوبه الىّ وهو يقول : « صلى » ، ولم افعل شيئا ، تملكنى رعب شديد ، واحسست ان راسى فراغ ، تعطل فكرى وان كانت مشاعر الخوف تكاد تقضى علىّ .

وسمعت صوت انطلاق رصاصة وانهرت على الارض كما ينهار الجدار وقر فى وجدانى اننى مت ، وغبت عن الوجود . وتقضت لحظات وانا لا احس شيئا ، وبدات المشاعر تعاود نبضها فى جنباتى ، وفتحت عينى وانا خائفة فرايت اشباحا تتراقص واخذت الصور تتضح لعينى شيئا فشيئا ووعيى يعود الىّ ، فغطنت الى اننى مستلقية على الارض وان راسى على ذراع رجل ، وان الناس التفوا حولى .

ونهضت اتحسس مكان الرصاصة فى جسمى ، وكم كانت دهشتى عندما اكتشفت انها لم تصبنى . وتطوع كثيرون لقص ما حدث على مسامعى ، وقد فهمت من رواياتهم ان دروية بريطانية ظهرت فى الطريق فى الوقت الذى صوب فيه الجبان مسدسه الىّ ، وانه ارتبك فطاشت رصاصته ومرت بجوارى وان اليهوديين اسرعا الى سيارة كانت فى انتظارهما وفرا هاربين .

وصمتت قليلا ثم قالت :

— اننى قتلت فى ذلك الصباح واسترحت من العذاب الذى كان فى انتظارى . بعد تلك الحادثة نسف فندق الملك داود وانسحب الانجليز بعد ان تركوا بعض اسلحتهم لليهود ، وبدات المذابح

ودخلت الجيوش العربية لانقاذ فلسطين ، وكانت خيانات الملوك فسقطت القدس الجديدة فى ايدى الصهيونيين ، وكان علينا أن نترك الدار التى نشأت فيها ونفر من الموت الذى يتعقبنا ، وهمنا على وجوهنا مرعوبين واصبحنا لاجئين بعد أن كان لنا بيت واهل ووطن .

واسبلت جفنيها على عينيها لتخفى الحزن الدفين الذى تحرك واحتشد فى مقلتيها ، وقالت فى مرارة :

— وفجأة وجدنا انفسنا فرعا بلا أصول ، عضوا أبتر انفصل عن الجسد . وكنا على الرغم من الشقاء الذى نتجرعه اسعد حالا من اخواننا ، كانت جنسية ابى جواز المرور لنا فانطلقنا الى مصر وحطتنا رحالنا فى الاسماعيلية .

وبدأ ابى من جديد .. وانها لقسوة أن تضطر الظروف من كان يعيش فى بحبوحة مثله أن يبدأ من جديد ، واتضح أن الأمر ليس فى مثل السهولة التى صورها لنا أول ما هبطنا الاسماعيلية .. وظننت أن الواجب علىّ أن اعمل لاساعد ابى وأمى ، ووجدت عملا فى مدرسة . ومنذ ذلك الوقت أصبحت مدرسة تعلم الفتيات الحساب .

وذقت طعم الاستقرار فى الاسماعيلية ، ولكن كان قلبى متعلقا ببيتى الذى كان هناك يرزح تحت ذل احتلال الصهيونيين .

وعرفته فى المدرسة ، كان مدرسا للغة الانجليزية وكان وديعا خجولا .. اذا تحدث الىّ يطرق الى الأرض ويقضم اظافره بأسنانه كالاطفال ، وقد مست وداعته وترا حساسا فى نفسى وخفق قلبى بحبه ، وقد عجبت لذلك الاحساس الجميل الذى تدسس الى ظلام روحى فى غفلة منى .

وافزعنى أن قلبى قد خفق بالحب على الرغم من المحنة التى نعيش فيها . حاولت أن اقهر ذلك الشعور وأن اقبره ولكن الحياة اقوى من اتراحنا ، فطفا حبى فوق احزانى وتبدى فى لفتاتى وحركاتى ونظراتى ، حتى ان امى فطنت الى التبدل الذى اعترانى وسألتنى فى حنان عن حياتى وعن شعورى نحو زملائى ، فافضيت اليها وانا مطرقة اكاد اذوب خجلا بسر قلبى ، ونظرت اليها من بين اهدابى المسبلة لأقرأ الغضب فى وجهها ولكنها كانت مقبسطة الأسارير تتألق نظراتها بالغبطة ؛ وطفقت سعادتها حتى انها ضمتنى الى صدرها وقبلتنى .

وشد ازرى رضا امى فاشرقت نفسى ، واقبلت عليه احادثه وانا نابضة بالحب والحنان ، فاستراح الىّ وحلت عقدة لسانه وكشف عن مكنون صدره ، قال انه يحبنى وانه لا يستطيع العيش بدونى ، وانه يريد أن يتخذنى زوجة ويود أن يسمع رأيى .

وغردت بلابل نفسى ، وتفجرت ينابيع سعادتى ، وصفت الحياة فى عينى وطفرت دموع الفرح من مقلتى ، ولم تتحرك شفتاى بكلمة وان نطقت كل ملامحى وخلجات ذاتى ترحب بذلك العرض الكريم ، واحس السعادة التى غمرتنى ، وهنأ قلبه بحديث قلبى فقال فى صوت خافت زاخر بالغبطة : شكرا . . شكرا .

وتم زواجنا ، ومرت الأيام وانا هائمة فى دنيا كلها غبطة . . وفجاة استيقظت من الحلم الجميل على موت ابى ، حزنت وبكيت ولكن زوجى مسح بيده الحنون دموعى ، وبرئت روحى من احزانها بما سكبه فيها من عطف وحنان . . واستأنفت حياتى اعب كئوس سعادتى . وتصرمت سنون ومانت امى فنكأ موتها جرح نفسى وعادت ذكراها تتمثل لعينى ، صرت اراها فى يقظتى وفى نومى ،

ويا طالما رايت فى احلامى الشابين الصهيونيين وهما يستوقفانى فى شارع الملك داود ويصوب احدهما الىّ مسدسه فاهب من نومى مفزوعة وانا اصرخ فى رعب وهلع .

كان عزائى يوم موت ابى انه دفن فى ارض وطنه ، اما ان تموت امى مشردة دون ان تلفظ آخر انفاسها فى القدس فذلك الذى كان يقطع نياط قلبى . واصبحت حليفة احزانى ، وبذل زوجى ما فى طوقه ليرفه عنى ولكن جرح فؤادى كان اعمق من ان يلتئم ، قيحه استسلامى لاحساساتى السوداء .

آه لو كنت ادرى ما يخبئه لى قدرى لقاومت مشاعرى وغمرته بكل ما تزخر به نفسى من حنان ، ولكن لم يخطر لى على قلب ان الزمن يدخر لى اسوأ ما فى جعبته من مفاجآت .

كانت اسرائيل سبب نكبتى الأولى وكانت هى سبب فجيعتى الثانية ، وانى اعيش الآن على أمل واحد ان ارى زوال تلك الباغية التى جرعتنى امر كئوس الحياة ، وان يتلوى طغاتها من الالم على ما اقترفوا من آثام .

نسجت اسرائيل خيوط المؤامرة على مصر ، وتم اتفاق الاوغاد على الغدر بها . وتحركت اسرائيل على الحدود ، وحاول الانجليز والفرنسيون ان يطعنونا من الخلف ، وشنت الطائرات عليا الغارات . ولا ادعى اننى قابلت تلك الغارات وانا رابطة الجاش ، كنت ارتجف هلعا واصيح محمومة استنزل اللعنات على الغادرين ، فقد كنت اخشى ان ينزل بوطن ابى ما نزل بوطن امى ، وان نهيم على وجوهنا جميعا مشردين .

كان اذا ما انتشر ازيز الطائرات يهرع الىّ ويضمنى الى صدره فى حنان ليذهب عنى روعى ، ولكننى كنت انتفض فى احضانه

وانا اسب والعن واصيح ، وهو يحاول أن ينفث فى الاطمئنان بكلماته التى يسكبها فى .

وفى الليلة المشئومة استيقظت من نومى مفزوعة على أصوات القنابل الهابطة من السماء ، ففتحت باب غرفتى وانطلقت أعدو فى الطريق دون وعى لا الوى على شىء ، ولا أعرف أين أتوجه ، وهب من نومه وراح يعدو خلفى وينادينى والقنابل تتساقط حولنا ، وصكت أذنى صرخة مرعوبة ثم صوت انهيار ، وعلى الرغم من الهلع الذى استبد بى ، أحس قلبى ما حدث وفى مثل لمح البصر تمثلت لذهنى الفاجعة ، فانقشع خوفى فجأة ووقفت والتفت خلفى فرايته يتلوى من الالم ، فعدت اليه ونظرت ، فاذا بالدماء تتفجر من جراحه فارتميت فوقه أحاول أن اسد بيدى ينابيع الدماء المتدفقة دوى جدوى ، وجن جنونى فجعلت أصيح وانادى واتلفت وضاعت صيحاتى بين هزيم القنابل المدوية .

وسكن كل شىء ، حتى قد سكن عن الحركة ، واخفيت وجهى فى صدره الغارق فى الدماء وانا ابكى وانتحب واختلطت دموعى بدمائه وتمنيت فى تلك اللحظة لو ان الطائرات تعود وتصوب الى كل ما تحمل لاذهب معه ، فقد كان آخر خيط يربطنى بدنيا الضوارى التى لا يزال يحكمها قانون الغابة .

ولم أطق العيش فى مصر بعده ، فرحت أسعى للخروج منها ، وواتتنى الفرص فوجدت عملا فى ليبيا ، فحملت أحزانى على ظهرى وانطلقت اليها .

وصمتت وظل على يرقبها وقد نبتت مشاعر جديدة فى جوفه ، كان يستشعر عطفا نحوها ويحس انها صارت قريبة الى قلبه حبيبة الى نفسه ، واراد ان يظل حبل الحديث موصولا بينهما فقال :"

ـــ وماذا تعملين فى ليبيا ؟
فقالت دون أن تنظر اليه :
ـــ ناظرة مدرسة ابتدائية .
وقال وقد تهدج صوته :
ـــ أتعيشين فى طرابلس وحدك ؟
ـــ نعم ، وبيتى فى شارع القاهرة . ولم اسكن فى هذا الشارع عفوا فقد صممت على أن اقطن فيه ليذكرنى دواما بمأساة حياتى .
ـــ اذا كنت ترغبين فى أن تظل مأساة حياتك حية فى نفسك ففيم كان هربك من مصر ؟ !
ـــ اننا نهرب دواما من مسرح الفاجعة ، ولا مفر من ذكراها
ـــ ولماذا لا تحاولين أن تنسى ؟
ولم تدعه يكمل حديثه ، وقالت فى مرارة :
ـــ هيهات أن ينسى المرء عشه السعيد الذى تقوض .
ـــ لا تزالين شابة ، لماذا لا تحاولين أن تبنى عشا سعيدا آخر !.
فابتسمت ابتسامة باهتة وقالت :
ـــ ان كان شعرى لا يزال اسود فان الشيب قد نبت فى اغوار نفسى وجلل وجدانى .
فقال خافق القلب وقد ازداد منها قربا :
ـــ قطرات من الخبب كفيلة تعيد سواد الشعر الى وجدانك .
فقالت وهى تبتسم فى استخفاف :
ـــ سيكون سواده كسواد الصبغة ما يلبث أن يذهب .
ـــ انك لم تشيخى ، ولكن نفسك قد جرحت والأيام هى البلسم الشافى للجروح .

فلوت شفتها وقالت فى مرارة :

ـــ لو كان هذا حقا فسيبرا جرح قلبى بعد أن يمتد اشتعال الشيب من أعماقى الى راسى .

فقال فى انفعال :

ـــ تتحدثين كأنما الشباب والجمال المادى كل شىء ، الحب الصحيح هو حب الروح ، وما أكثر الذين سيعشقون روحك لو فتحت لهم قلبك وخرجت من قوقعة ذاتك .

فقالت فى زراية :

ـــ شكرا .

ولم تفتر حماسته وقال :

ـــ انت وحيدة فى طرابلس وانا وحيد ، أتسمحين لى بزيارتك ؟

فقالت فى ترحيب :

ـــ ليتك تفعل :

ـــ قلت ان منزلك فى شارع القاهرة ..

ـــ أمام محل منصور .

وابتسم وقال :

ـــ تحدثنا طويلا دون أن يقدم أحدنا نفسه للآخر ، أنا على طه محاسب قانونى ، لى مكتب فى طرابلس وآخر فى بنى غازى وانا دائم التنقل بينهما .

فقالت وهى تبتسم :

ـــ تشرفنا .

وصمتت ولم تذكر له اسمها ولم يكن فى حاجة الى معرفته ، فهو يحس فى تلك اللحظة أن روحها انسابت بين جوانحه فأيقظت أرق مشاعره الهاجعة . وأضيئت اللافتة التى تأمر الركاب بربط أحزمتهم فلف كل منهما ذراعه حول وسطه ومال نحوها بكل جسمه

وأدنى منها أذنه ليتمكن من سماع حديثها ، ولكن كلماتها ضاعت في هدير مراوح الطائرة التي ملأ ضجيجها .

واستقرت الطائرة على الأرض فالتفت اليها وقال :

ـ حمدا لله على السلامة .

ومال وجذب حقيبته الصغيرة من تحت الكرسي الذي أمامه ثم نهض وأفسح لها طريقا ، ومدت يدها لتحمل حقيبتها المنتفخة ولاح في وجهها أنها قاست من حملها ، فخف اليها وحمل الحقيبة عنها وهي تقول :

ـ عفوا .. عفوا .

فقال وهو يبتسم :

ـ باهي .. باهي .

وسارت وهو خلفها حتى اذا هبطا الى أرض المطار انطلقا جنبا الى جنب وهما يتحدثان ، وأحس على يدا على كتفه فالتفت خلفه فاذا بالشاب الذي وعده بفنجان قهوة مصرية يشربه في بيته يبتسم له . كان على قد نسيه في غمرة نشوته بالحديث الذي كانت تسكبه في أذنيه . انه كان صادق الشعور سليم القلب ساعة أن دعاه مما دار في خلده أن يطرأ على حياته كل ذلك التغيير في ساعتين حسب انه سيقضيهما في تثاؤب وملل ، أما الآن فقد زحف الضيق الى صدره وان لم تبد على وجهه آثاره .

والتصق الشاب به كأنما يحتمي به فما كان يدري الى أين يذهب وماذا يفعل ، وانتهت الاجراءات وخرجو الى سيارة الشركة التي كانت تنتظرهم ، وجلست وأسرع بالجلوس الى جوارها مسافر آخر ، فأخذ على يرمقه في شزر ، ثم اتخذ مكانه خلفها وهرع الشاب اليه وجلس الى جواره .

وانطلقت السيارة الى المدينة ، وقال الشاب لعلى وهو يبتسم :

ـــ عزمت على أن انزل فى الفندق القريب من بيتكم ، لقد ذكرت لى اسمه ولكننى نسيته ، ما اسمه ؟

ـــ المهارى .

وقال الشاب دون أن يفطن الى أن عليا يريد ان يظل فى رفقة نفسه ، يحلل مشاعره التى تفجرت بغزارة فى اعماقه بعد حديث السيدة الذى مس أوتارا مرهفة الحس فى وجدانه :

ـــ وهل « المهارى » كلمة عربية ؟ .

فقال على فى نبرات تنم عن رجائه له ان يسكت والا يعاود الحديث :

ـــ انها كلمة ايطالية ومعناها « الهجين » .

وقال الشاب ليظل حبل الحديث موصولا بينهما :

ـــ قطعنا مسافة طويلة ولم نبلغ بعد المدينة ، فكم كيلومترا يبعد المطار عن طرابلس ؟

ولم يحر على جوابا ، ونظر اليه الشاب فالفاه شارد اللب ، فاحترم صمته مرغما .

وبلغت السيارة المدينة وهبط منها ركابها ، وسر عليا انها وقفت تنتظر هبوطه فخف اليها يودعها وهو خافق القلب يشع من عينيه بريق آخاذ ، ومدت له يدها مصافحة فأسرع واحتوى يدها فى يده وضغط عليها فى خفة لتسرى المشاعر الوارة المربدة بين جنباته اليها ، وقال فى رقة :

ـــ مع السلامة .

وقالت فى هدوء :

ـــ منتظرة زيارتك .

وتدفق الدم حارا الى وجهه وقال فى صوت متهدج :

ـــ ان شاء الله .

وسارت وهو يرمقها ونشوة تدغدغ كل حواسه ، واحساس بالرغبة فى أن يعدو خلفها ليكون الى جوارها دواما يملأ نفسه .

وغابت عن عينيه ، ودار على عقبيه فالفى الشاب قد وضع حقيبته بين رجليه ووقف ينتظره ، فابتسم له وقال :

ـــ تعال .

وركبا عربة حنطور تظللها مظلة كبيرة مخططة من مظلات الشواطىء ، وراح الشاب يملأ عينيه بالمحال والمبانى والغادين والرائحين ، وسارت العربة الى الكورنيش ، فصاح الشاب فى فرح :

ـــ لكأننا فى الاسكندرية ، فى الميناء الشرقى على التحديد .

وظل الشاب فى تلفته دون أن ينبس على بكلمة .. كان غارقا فى بحار من الأفكار . ووقفت العربة أمام مبنى أبيض له مظلة اقيمت على أعمدة مستديرة رفيعة اصطفت تحتها بعض سيارات ، وفوق المدخل شيدت بناية مثمنة الشكل فى قاعدتها نوافذ ، وفى منتصف المثمن قامت اسطوانة تنتهى بنصف دائرة ، وكتب فى أعلاه بالعربية والايطالية « فندق المهارى » ، وهبط الشاب وهو يحمل حقيبتين ولحق به على ، وأراد الشاب أن يقول شيئا ليذهب الوحشة التى بدا يحسها فقال :

ـــ عربة جميلة .

فقال له على :

ـــ انها تسمى هنا « كاروسة » .

وذهب على وحجز له غرفة ، وانتظره فى الردهة حتى ينتهى من وضع حوائجه ويعود اليه ، واخذ على يذرع المكان وهو برم

بالانتظار . انه قد عرض على الشاب أن يصحبه الى بيته ليشرب فنجانا من القهوة لان حياته فى طرابلس كانت فارغة وكان فى حاجة الى من يؤنس وحشته ، اما بعد أن قابلها فقد ذهبت عنه وحدته وملأت عليه حياته .

وعاد الشاب وصحبه على الى بيته ، ورحب به وقدم اليه قهوة مصرية ، وراح الشاب يتحدث وهو غائب عنه . وفطن الشاب الى شروده فاستأذن فى الانصراف متعللا بتعبه وحاجتـــه الى الراحة .

وبقى على فى البيت مع طيفها يتمثل الحديث الدائر بينه وبينها ورن فى سريرته صوته وهو يقول لها : « لماذا لا تحاولين أن تبنى عشا سعيدا آخر ؟ » فضرب كفه بقبضته وقال : « نعم ، لماذا لا تحاول أن تبنى عشا سعيدا آخر ؟ فلتحاول وسأعاونها على تشييد ، ، اننى لم افكر من قبل فى ان اتزوج ولكننى الآن اتمنى من كل قلبى أن تقبلنى زوجا ، ان روحى قد احبت روحها .. عشقتها . . هامت بها . . وجنت اخيرا ما كانت نفسى تشتهيه وتهفو اليه » .

وارتمى فى فراشه وسبح فى عالم من الرؤى العذاب ، وتردد فى جوفة صوتها وهى تقول : « ان كان شعرى لا يزال أسود ، فان الشيب قد نبت فى أغوار نفسى وجلل وجدانى » وهب من رقاده ثائرا وهو يقول : « لا ، لا ، أنها واهمة ، وهى دائما تضخم أوهامها ، لقد اصبت كبد الحقيقة عندما قلت له : انها مريضة بالوهم . ستأشفيها من وهمها هذا ، ستذوب ثلوج مخاوفها تحت شمس حبى ، سأغذيها بالحنان حتى اقوى روحها وأعيد اليها ثقتها بنفسها التى زعزعتها الأحداث » .

وعاد مرة اخرى الى فراشه وتمدد فيه وهو يغمغم : « اننى

احبها .. اجل احبها على الرغم من ان عمر معرفتى بها لا يزيد على ساعتين ، ان مشاعرى لا يمكن أن تخدعنى وانا فى مثل سنى ، فقد تجاوزت مرحلة الطيش والاندفاع » .

وتقلب فى فراشه وراح يفكر فى الأرملة التى ملكت كل حواسه ، وقر رأيه على أن يذهب اليها فى الغد يشرح لها فى بساطة حقيقة مشاعره ويطلب منها الزواج . وعلى الرغم من انه قد استراح الى ذلك القرار فقد جافاه النوم ، واستمر طوال الليل يجتر احداث السامدتين اللتين امضاهما معها وهو مفعم بالغبطة والانشراح .

وتصرم الليل واقبل النهار ، فراح يتاهب للذهاب اليها خافق القلب يحس كأنما قد خلق خلقا آخر ، ولما اتم تأنقه هبط فى الدرج مسرعا ،وهرع الى سيارته وانطلق بها الى شارع القاهرة .

ووقف أمام محل منصور وقد اشتد وجيب قلبه ومشى الاضطراب فى أوصاله ، ونظر فى قلق الى البيت المواجه للمحل فالفاه من طبقة واحدة تعلو الدكاكين ، فهبط من سيارته ومرر لسانه على شفتيه ليذهب عنهما الجفاف الذى بدا يحسه . ووقفة برهة يسترد انفاسه المبهورة ويجمع شتات أمره ثم سار الى البيت لا يلوى على شىء ولا يلتفت خلفه .

وطرق باب الشقة طرقة خفيفة كانت اخف فى اذنيه من طرقات مشاعره الصاخبة المدوية ، ومرت لحظات ثم فتح الباب عنها .. كانت ترتدى ثوبا منزليا بسيطا وشعرها مسترسل على كتفيها ، ولما رأته تألقت عيناها ببريق خاطف وانفرجت شفتاها عن بسمة عذبة وقالت :

ـ اهلا وسهلا .. تفضل .

To: www.al-mostafa.com

وقادته الى غرفة الاستقبال ، وكان اثاثها بسيطا ولكنها كانت منسقة تنسيقا جميلا ينم عن حسن ذوقها ، وجلس وتحركت لتبدل ثوبها وهو تقول :

ـ لحظة واحدة من فضلك .

فقال وهو يزحف حتى حافة المقعد :

ـ أعرف أنني جئت في وقت غير مناسب ، ولكن عذري انني لم استطع الصبر على ما اريد أن افضي به اليك .

واشار الى مقعد امامه وقال :

ـ اجلسي أرجوك ، ولن تستغرق زيارتي الا دقائق قليلة .

وقرأت في عينيه التوسل فجلست صامتة ، ونظر طويلا الى الهلالين الاسودين اللذين يحدان عينيها من اسفل ثم قال :

ـ لم افكر في شيء مذ افترقنا حتى الآن الا فيك .

وأحس انها جفلت وان جاهدت لتخفي انفعالها ، فقال في هدوء وان تهدج صوته :

ـ ارجو ان تسمحي لي ان اعبر عن نفسي في صدق وبساطة ، انني لم اذق طعم النوم البارحة ، امضيت ليلي افكر في كل كلمة خرجت من بين شفتيك واحلل عواطفي فاهتديت الى انني قد وجدت ضالتي ، لقد كنت عازفا عن الزواج اما بعد ان قابلتك فاني اشتهيه وأرجو ان تقبليني زوجا .

وسرت في جسمها قشعريرة وقالت في صوت مضطرب :

ـ ان ملامساتي قد مست مكامن العطف منك ، انك تعطف علي

فقال في حماسة :

ـ ابدا ، انني قد احببتك . احببتك حبا صادقا ، وانه لما يشرفني أن تكوني لي زوجة .

فقالت فى دهش :

ـــ اتعرض الزواج على سيدة لا تعرف حتى اسمها ؟ !!

فقال وهو يدنو منها :

ـــ وما يهمنى من اسمها اذا كانت روحى عشقت روحها ؟ اذا كنت قد احسست اننى لها وانها لى ؟ انا واثق اننا سنسعد معا ، لا تستسلمى لياسك ، حاولى ان تعاودى بنا عش جديد وان تملئيه حبا وسعادة . انت زاخرة بأجمل ما فى الوجود من مشاعر .. اسعدى بها .. حرام عليك ان تحطمى هناءك وهنائى .

فقالت له فى انفعال :

ـــ آسفة ان كنت لم اقدم لك نفسى بالامس ، انا جاكلين توفيق : انا مسيحية وانت مسلم .

ـــ حتى هذا لا يحول بيننا ، انت مؤمنة بالله وانا مؤمن بالله ، الا يكفى هذا ؟ أجل يكفى اننا مؤمنان وان روحينا قد ائتلفتا . اقسم لك بحبى ان روحى لم تنجذب ابدا الى روح كما انجذبت اليك . اقبلى ما اعرضه عليك ارجوك من اجلى ومن اجلك .

فقالت وقد اطرقت واسبلت جفنيها على عينيها :

ـــ آسفة لن اتزوج ابدا ، سأظل ما حييت ارملة من فلسطين .

فقال فى انفعال :

ـــ ان كل ما مر بك وهم من الاوهام ، اضغاث احلام .. انما الحقيقة فهى اننى لك وانك لى ، لقد وجدنا نفسينا فلماذا نضيعهما .

ورأى الدموع تنهمر على خديها فعقد لسانه .. لم يكن يدرى اهى دموع الفرح ؟ اهى دموع الاسى ؟ اجرح شعورها لما قال لها ان كل ما مر بها وهم من الاوهام ؟ وجعل يرمقها فى قلق فالفاها تمد له يدها وتقول :

— ان كنت تبغى صداقتى فعدنى الا تعود ابدا الى هـذا الموضوع .

وظل ينظر الى اليد الممدودة اليه وهو حائر .. ايرفضها ؟ أيقبل شرطها الجائر ثمنا لصداقتها ؟ انه اصبح لا يستطيع العيش بدونها .. يكفيه أن يكون بالقرب منها ، والفى يده تمتد الى يدها وتصافحها ، ولم تكتف بذلك بل قالت :

— قل اقسم بالاله الذى اومن به الا اعود ابدا الى هـذا الموضوع .

فقال فى صوت خافت زاخر بالأسى :

— اقسم بالله العظيم الا اعود ابدا الى هذا الموضوع .

وأطرق سناهما ثم نهض مستأذنا ، فقالت له وهى تودعه :

— تفضل فى اى وقت ، بيتى مفتوح لك .

وهبط الى الشارع ولم يتجه الى سيارته ، فقد راح يضرب فى الطرقات على غير هدى وهو ساخط على نفسه الائمة قبل ان يقسم ذلك القسم الغليظ بعد أن وجد من عشقتها روحه وخفق بحبها قلبه ، ولم ينقشع غضبه الا بعد أن راح يؤكد لنفسه بأنه سيحنث فى قسمه لو قبلته يوما زوجا لها ، وهو يأمل كثيرا فيما ستجرى به المقادير ، فلم يكن لقاؤهما عبثا .. وانها لقسوة ان يكتب عليه أن تصبح ليلة عرسه مأتم حبه .

كشك الموسيقى

رحت اضرب فى الطريق الهادىء وحدى وانا احتمى بالجدران من لسع الشمس . كان اليوم من أيام يونية القائظة ، وكنت فى طريقى لأول مرة الى منزل صديقى حمدى الذى دعانى للغداء عنده ، وهو صديق تعرفت به اخيرا ولكن سرعان ما توطدت بيننا أواصر الصداقة .

ووصلت الى الفيلا الانيقة القابعة فى نهاية الطريق وقد اولت ظهرها صحراء مصر الجديدة ، فوقفت أجفف عرقى وأصلح هندامى ، ثم مددت يدى وضغطت على الجرس ، فما هى الا لحظات حتى اقبل لخادم نوبى فى ثياب بيض ، وقادنى الى غرفة نسقت تنسيقا بديعا وقد زينت باوحات جميلة ، فقعدت فى مقعد وثير وبدأت عيناى تجولان فى الغرفة . ولكن بلغ اذنى وقع اقدام تقترب ، فالتفت صوب الباب فاذا بحمدى بقامته الطويلة ووجهه الاسمر وشعره الاسود اللامع يقبل علىّ ويرحب بى وقد فتح ذراعيه :

ـــ اهلا .. اهلا ..

وتصافحنا ، وما كدت اجلس حتى لمحت زوجته مقبلة ، واخذت المسافة التى تفصل بيننا تقصر ، واخذت ملامحها تتضح لى ، فاذا بقلبى يقفز فى شدة واذا بالدماء الحارة تتدفق فى عروقى ، واذا

بالعرق يتصبب من وجهى فأخرج منديلى واجففه ثم أدسه فى سرعة فى جيبى .

ونهضت ومددت يدى لاصافح يدها الممدودة الى وأنا مأخوذ ، ومس أذنى صوت حمدى مسنا غريبا وهو يقول :

ـــ زوجتى فتحية .. صديقى على .

فقلت فى صوت أجش يتحشرج :

ـــ تشرفنا ..

وجلسنا وراح حمدى يتحدث ، ولكنى كنت مشغولا بالمشاعر التى استيقظت فى أعماقى وباختلاس النظر الى الزوجة ، وتلاقت عيوننا مرة فأشرق وجهها بابتسامة فغضضت من بصرى سريعا .. وقد ازداد وجيب قلبى وربا اضطرابى .

واستمر حمدى فى حديثه وأنا اشاركه بايماءة من راسى او بسمة انتزعتها من بين شفتى ، ونهضت الزوجة وغادرت الغرفة فاذا عينى تتلصصان خلفها ، وغابت عنا قليلا ثم عادت تقول :

ـــ تفضلا ..

فنهضنا وانطلقنا الى المائدة ، وجلست صامتة وكانما أراد حمدى أن يخرجنى من صمتى فقال :

ـــ قرأت فتحية روايتك الاخيرة التى اهديتها لى ، وقد اختلفنا فيها ..

. فدق قلبى فى عنف وأرهفت حواسى ، وقلت وأنا انظر الى حمدى :

ـــ وفيم اختلافكما ؟

فقالت فتحية :

ـــ قال حمدى انها قصة حياتك ، وقلت انها قصة من الحياة ولكنها ليست قصة حياة المؤلف .

فالتفت اليها وقلت متخابثا :

ـــ وما الذى جعلك تقررين انها ليست قصة حياة المؤلف ؟ .

فاذا بها تقول فى ثبات دون ان يختلج لها طرف :

ـــ ظهرت الصناعة فى بعض مواقف الحب ، بينا ان المؤلف الذى يروى قصة حياته يرويها فى بساطة وحرارة وصدق .

فقال حمدى فى ثقة :

ـــ انها قصة حياتك ولا شك ..

فقلت وعيناى تنتقلان من وجه حمدى لتستقرا قليلا على وجهها :

ـــ انها ليست قصة حياتى ، بل هى قصة حياة صديق عشت معه سنين طويلة ..

وساد الصمت لحظة تبادل فيها الزوجان النظرات ، ثم قالت فتحية :

ـــ انى عاتبة على قصاصينا ..

فقلت وانا انظر اليها :

ـــ لماذا ؟

ـــ لأن احداثا هامة كثيرة تمر بهم دون أن يسجلوها .

ـــ لعل تلك الأحداث التى تظنيها ذات خطر ليست هامة من وجهة نظرهم ، فالحادثة الهامة عند القصاص هى التى تحرك وجدانه وتلهمه وان بدت لغيره من الناس تافهة لا تستحق التفاتا .

فقالت فتحية وهى تبتسم :

ـــ ما قصدت غير هذا ..

فقال حمدى :

ـــ اضربى لنا مثلا .

فمالت الى الخلف وقالت وهى تنظر الىّ بعينيها الواسعتين وقد توهج فيهما بريق :

ـــ كشك الموسيقى فى حديقة الازبكية .. هل مررت به بعد ان شق الطريق الجديد الحديقة هل رايته وقد القى ذليلا ؟ الا تربطك به ذكريات حبيبة ؟ لماذا لا تسجل ما يبعثه الكشك فى نفســـك من مشاعر واحساسات ؟!

ولمحت بسمة خبيثة تولد على طرف فمها ، فاضطربت واشتد وجيب قلبى وتفصد العرق منى حتى احسست به يجرى فى ظهرى ، وهممت ان اتكلم ولكننى لم اجد لسانى . وزاد فى ارتباكى نظراتها الخبيثة التى تنضح بها عيناها ، فاطرقت قليلا استجمع نفسى التى ذهبت شعاعا ، حتى اذا ما افرخ روعى قليلا قلت :

ـــ فكرة بديعة .

فاسترسلت فى حديثها :

ـــ اظن انك عاصرت « صالة سانتى » وموسيقى الصياد .

ـــ انى عاصرتها من غير شك ، واحسب انك سمعت عن هذه الحقبة ..

وفضحتنى نظراتى التى كنت اصوبها اليها فلم ترتبك بل ظلت هادئة وقالت فى ثبات :

ـــ بل كنت شابة فى ذلك الزمن، وكنت اداوم على الذهاب الى حديقة الازبكية عصر يوم الاحد لاصغى الى موسيقى الصياد ..

وقال حمدى وهو يضحك :

ـــ كل ما اذكره عن كشك الموسيقى اننى قرات فى الصحف يوما دعوة لاجتماع الراسبين فى اليكالوريا عند الكشك وكنت من الراسبين ، فذهبت اليه لاجتمع برفقائى الخائبين .

والتفتت الى فتحية وقالت :

ـــ لماذا لا تكتب للسينما قصة حياة الصياد ؟ . .

فقلت فى دهش :

ـــ أتظنين ان حياته تصلح لتكون موضوعا سينمائيا ؟

فقالت وهى تنظر الىّ فى استخفاف :

ـــ وهل كانت حياة نيليب سوسة تصلح لتكون موضوعا سينمائيا ، انظر ماذا فعلوا من موسيقاه ، انهم يقدرون فنانيهم ويتفننون فى ابراز جوانب عظمتهم .

ـــ كان من الميسور على واضع قصة حياة سوسة ان يجد قصة حب تدور حولها القصة أما من يتصدى لكتابة قصة حياة الصياد فسيقاسى الأمرين اذا ما فكر فى قصة الحب التى سينسج حولها روايته ، لأن المراة المصرية فى عصره لم يكن لها أثر فى المجتمع . .

ورمقتنى بنظرة فهمت مرماها فأطرقت وراح العرق يتصبب منى ، وكأنما عز عليها أن تتركنى أتنفس فقالت فى سخرية :

ـــ من يسمعك يحسب أن الصياد وجد فى القرن التاسع عشر ، اننا ـــ أنا وانت وحمدى ممن عاصروه ـــ أو ليست لأحدنا قصة حب يمكن أن تكون الخيط الذى ينسج منه المؤلف قصـــة حياة الصياد ؟ .

وخفق قلبى فى شدة ، وانتشر القلق فى جوفى فأطرقت لاتحامى نظراتها التى كانت تزيد فى ارتباكى . وساد الصمت برهة كأنما كان كل منا يستجمع قواه للجولة الثانية ، واذا بصوت حمدى يقطع السكون فيقول :

ـــ على ذكر الحب ، قل لى ما هى دلائل الحب ؟

فقلت وأنا اتصنع الهدوء :

ـــ هى أن نتلمس المعاذير لأخطاء من نحب .

فقالت فتحية دون أن تضطرب أو يتهدج صوتها :

ـــ بل خير دليل على الحب هو الفرار ممن نحب .

فأخذت وأحسست جفافا فى حلقى ، وخيل الىّ انني اصبحت كفأر فى مصيدة فجعلت أتلفت دون سبب وعقد لسانى ، ومن حسن حظى قال حمدى منفعلا :

ـــ لا ، هذا ليس رأيك فى الحب ، هذا رأى جديد .

فقالت له وهى تبتسم :

ـــ انك تعرف أننى لا احب الجمود ، وأننى من عشاق التجديد فى افكارى ..

ورأيت أن أشترك فى الحديث حتى لا يفطن حمدى الى ما اعترانى من اضطراب ، فقلت له وأنا اتكلف الابتسام :

ـــ وماذا كان رأيها فى الحب قبل الساعة ؟

فقال حمدى وهو يرمقها بطرف عينه :

ـــ كانت ترى أن الهدية هى خير معبر عن الحب ..

فقالت وهى تضحك :

ـــ ما ايسر الربط بين الرأيين ، فى فورات الحب الأولى يكون الفرار ممن تحب دليل الحب ، أما اذا هدأ الحب واستقر فالهدايا هى مقياس الحب ..

فقال حمدى فى حماسة :

ـــ اننى لا أوافق على هذا ابدا .

ـــ قل الصدق ولا تكتمه ، أما كنت تهابنى وتحاول ان تفر منى بعد أن تعارفنا قبل أن نتزوج ؟

فأحسست قلبى يقفز فى قدمى والدماء تتدفق حارة فى

شراييني ، واتسعت عيناى ولفنى اضطراب ولم اقو على كتم ما بى ، فدفعت الكرسى الى الخلف ونهضت فقال لى حمدى :

ـــ كل .. انك لم تاكل شيئا .

فقلت فى صوت متهدج :

ـــ شكرا فقد شبعت .

وانسحبت بعيدا لأهرب من نظراتها التى كانت تعبث بى ، وتخز روحى ، ولاجمع شتات نفسى واتأهب لتلقى لذعاتها التى كانت تسددها الىّ كالسهام .

وانتقلنا الى غرفة الاستقبال واسترخيت ، وكانما عز عليها أن تدعنى أستريح فأدامت النظر الىّ ثم قالت :

ـــ يخيل الىّ أننى رايتك قبل اليوم .

فاعتدلت مذعورا .. اننى أعرفها جريئة ولكنى ما كنت اظنها تتمادى الى هذا الحد ، ظننت ساعة أن قدمنى زوجها اليها أن السنين الطويلة التى/تقضت منذ كنا جارين صغيرين نلهو ونعبث قد بدلتها ، فاذا بها ما زالت طائشة كعهدى بها فقلت :

ـــ لا اظن اننا تقابلنا قبل اليوم .

وهمت بالكلام ، وتلاقت عيوننا فقرات فى عينى توسلاتى اليها ان تكف عن ذلك العبث فلم تأبه بى ، بل استمرت فى وخزى وقالت :

ـــ لعلى رأيت صورتك فى كتاب من كتبك .

فقال حمدى :

ـــ انه لم ينشر صورته فى اى من كتبه ..

ورأيت أن خير ما افعله الا اترك لها فرصة للحديث ، فعزمت على ان اثرثر وان استمر فى الثرثرة ، ثم استأذن فى الانصراف

قبل أن ترمينى باسئلتها الخبيثة التى تشيع الاضطراب فى أوصالى فقلت :

ـــ لست من المؤمنين بنشر صور المؤلفين ، فالقراء يرسمون للمؤلف فى اخيلتهم صورة ما فاذا ما راوا صورته صـــدمتهم الحقيقة ، اننى اذكر اننى كنت فى احدى المكتبات يوما وقت أن جاء احد أصحاب المكتبات العراقيين يشترى بعض كتبى . كان يطلب بعض مئات من كل كتاب ، وظن عامل المكتبة انه اذا قام بتقديمى الى الرجل فانه يسدى الى خدمة ، فقال للرجل وكان يرتدى جبة خضراء وعمامته خضراء تزين وجهه لحية سوداء مستديرة :

ـــ حضرته مؤلف هذه الكتب .

فالتفت الرجل الىّ ثم قال فى انكار :

ـــ ابدا ، ان مؤلف هذه الكتب رجل مسن ذو لحية بيضاء .

واصر عامل المكتبة على اننى المؤلف .. وبانت فى ملامح الرجل خيبة الأمل . ثم ظهر الأثر العملى لكشفه شخصيتى فهبط العدد الذى كان يطلبه من كتبى الى رقم لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة عددا .

ثم التفت اليها مضطربا فاذا بها تتحفز للكلام فتقاصرت الى نفسى وانكمشت ، وقبل ان تتحرك شفتاها نهض حمدى وانصرف من الغرفة وتركنا منفردين ، فقالت فى هدوء :

ـــ ماالذى جاء بك اليوم ؟

ـــ دعانى حمدى للغداء .

ـــ اكنت تعرف انك ستلقانى .. ؟

ـــ لم يدر بخلدى ..

فقالت هازئة :

ـــ أنا واثقة من ذلك ، فلو كنت تعرفنى ما جئت .

ـــ لماذا ؟

ـــ لأنك ما زلت تخشانى .. تفضل الفرار منى على مواجهتى .

فقلت فى ارتباك :

ـــ أبدا ..

فقالت فى دهش :

ـــ ماذا دهاك ؟ أين لسانك الذرب الذى كان يطلق السباب كالقذائف ؟

فقلت فى تخاذل :

ـــ أدركه الهرم .. اصبح يتعثر .

ولمحت حمدى مقبلا فنهضت مستأذنا فى الانصراف ، وصافحته ثم مددت يدى اليها فأحسست يدها تضغط على يدى ، وخيل الى أن عينيها تصيحان بى فى هزء :

« ما زلت تخشانى .. ستفر منى كما كنت تفر » .

فارتبكت وغضضت من بصرى ، واذا بصوتها يمس اذنى هادئا وان أوحت ذبذباته بالسخرية :

ـــ نرجو أن تشرفنا بزيارتك .

فغمغمت :

ـــ متشكر .. متشكر .

ثم انصرفت وأنا مضطرب النفس ماخوذ ، ترن فى اذنى لذعاتها ، وتتخايل لعينى بسماتها ، فترتفع حرارتى ويربو اضطرابى .

وبلغت دارى وتمددت فى مقعد طويل ، فاذا بخيال فتحية يحتل رأسى ، واذا بصوتها يرن فى أفوارى « كشك الموسيقى ..

صالة سانتي .. موسيقى الصياد .. خير دليل على الحب هو الفرار ممن تحب .. انك تفضل الفرار مني على مواجهتي » .

وطفت الذكريات على سطح ذهني وتهتكت أسجاف الماضي ، فاذا بي أرى فتحية بقامتها المتناسقة وقد ثبتت ـــ كعادتها ـــ قاعدة حقيبة كتبها على طرف عجيزتها وأسندتها بذراعها ، تنطلق رشيقة كالغزال في الطريق الموصل الى دارينا ، فقد كانت دارها على مرمى حجر من دارنا .

ورأيت نفسي أسير على بعد خطوات منها اختلس النظر الى بديع تكوينها ، كانت في السادسة عشرة ، معتدلة القامة سوداء الشعر والعينين خمرية اللون ، تمتاز بأنوثة طاغية . وكنت في السابعة عشرة تتأجج في صدري ثورة عارمة يكبح جماحها ذلك الخجل الذي كان يستبد بي ويعقد لساني اذا ما تلاقت عيناي بعيني فتاة !

وجدت نفسي أمام فتحية وجها لوجه أكثر من مرة ، قابلتها وهي خارجة من مدرستها الفرنسية فتظاهرت بالارتباك لسيرها وسط فتيات صغيرات ، ثم ابتسمت لي ولكنني لم أجرؤ على أن أبادلها الابتسام وان كنت في قرارة نفسي اشتهي ذلك وأتمناه .

وتلاقينا مرة فوق سطح دارنا ، فجعلت تغدو وتروح أمامي في ثوب منزلي بسيط يبرز مفاتنها ، فثارت مشاعري وراودتني فكرة تحيتها والتقدم اليها لأنعم بحديثها ، ولكن خجلي أورثني ضعفا فراح قلبي يدق في عنف وسرى في بدني اضطراب . وكأنما ارادت أن تشتد أزري فبدأتني بالتحية ، فأومأت لها برأسي وماتت على شفتي الكلمات .

والتقينا ذات ليلة مصادفة في الطريق الهادىء الموصل الى

دارينا ، كنت عائدا من السينما وكانت تسير على بعد خطوات منى ، والتفتت خلفها فلمحتنى فخففت من خطوها لألحق بها واحييها واجاذبها الحديث ، مما كان فى الطريق غيرنا ، ولكن شجاعتى خانتنى وانتشرت الرهبة فى جوفى وخفق قلبى وسرى فى بدنى الاضطراب ، فضيقت خطاى حتى دلفت الى دارها ، وزحفت الى دارى وأنا حانق على نفسى ضائق بذلك الضعف الذى يستبد بى كلما هممت بمحادثة فتاة !

وضاقت فتحية بخجلى ولم تستطع الصبر حتى تحل عقدة لسانى ، وما كانت تستطيع أن تعيش بلا صديق فتوطدت بينها وبين فريد أحد رفاقى أواصر الصداقة .. صارا يخرجان معا اذا اقبل المساء يجولان فى الطرقات التى تعجز المصابيح الخافتة عن تبديد ظلامها ، او يذهبان الى السينما ، وقد رايته اكثر من مرة يتابط ذراعها فكان قلبى يدوى فى عنف بين ضلوعى ، وامر متسللا خشية أن يلمحانى ! ..

ورايتها ذات يوم تدخل بيت صديقى فى وضح النهار ، فأحسست غصة فى حلقى ومرارة فى فمى ، ثم لويت شفتى فى اشمئزاز ..

والتقينا بعدها وجها لوجه فلم اضطرب ولم يخفق فؤادى ولم تتدفق الدماء حارة فى عروقى ، ولأول مرة حلت عقدة لسانى فركبتها بسخريتى حتى وسعت خطوها فرارا منى ، وخيل الى انى لم اعد اهابها بعد أن تقوض الصرح المقدس الذى اقمته لها فى خيالى .

رسئمت فريد فهجرته ، وسرعان ما صادفت فهمى بعد أن تركت فريد يتلظى بنار البعاد ، وكانت ترقبه وهو يذرع الطريق جيئة

وذهابا تحت شباكها وهو محطم القلب فكانت تشمخ برأسها في استعلاء ، أرضى غرورها أن تجد شابا مطرودا من نعيمها يتهافت عليها تهافت الفراش في النار !!

وصعدت يوما الى سطح دارها ، وما هي الا دقائق حتى لمحتها صاعدة فلم تسر في بدني تلك الرعدة التي كانت تسري فيه كلما رايتها ، وكانت في يدي وردة حمراء فشممتها ووضعتها على سور السطح ، واقتربت مني وحيتني فرددت عليها تحيتها وانا اتظاهر بعدم الاكتراث ، ولمحت في صدرها دبوسا على شكل حرف (ف) فقلت لها في سخرية :

ـــ أيرمز هذا الدبوس الى فريد أو الى فهمي ؟

فراحت تسير أمامي وهي تتمايل في دلال ، فبدأت الدماء الحارة تتدفق في عروقي وثارت في نفسي رغبات ، ولكنني أخذت في كبح جماحها وقلت :

ـــ يخيل الي أنك تختارين أصدقاءك ممن تبدأ أسماؤهم بحرف (ف) .

فقالت وهي تسير في خطوات اقرب الى الرقص :

ـــ وماذا في ذلك ؟

ـــ لا شيء .. كل ما في الأمر أنني احمد الله أن اسمي لا يبدأ بهذا الحرف ! ..

وبالغت في تمايلها فراح كل ما فيها يرقص ، فقلت لها وأنا احاول أن أبدو هادئا :

ـــ قد يدير هذا الدلال راس فريد أو رأس فهمي .

وفي الحق بدأ رأسي يدور ، ولو طاوعت نفسي لضممتها الى صدري .. ولكنني كنت أصارع مشاعري المتفجرة في أعماقي ،

ومدت يدها واخذت الوردة وراحت تقطف بعض اوراقها فقلت لها :

ـــ وماذا تفعلين ؟

ـــ اهذبها ، وارجو ان أوفق فى تهذيب صاحبها .

فقلت لها وانا ابتسم فى استخفاف :

ـــ هيهات ..

وقدمت الىّ الوردة فاخذتها منها ، وكدت اضعف واستشعرت ان مقاومتى كادت تنهار ، فقذفت بالوردة من السطح ثم وليت الفرار ..

وخرجت مع فهمى فى الليل والنهار ، وانطلقا معا يجوبان الطرقات الهادئة وقد تشابكت الأيدى وهمست الشفاه وتحدثت العيون .. ومرت الأيام ودب السأم فى نفسها فطردت فهمى من جنتها وراحت تنقب عن عابد جديد ..

وفى يوم وقفة عيد الأضحى صعدت الى سطح دارها ، فالفيتها تلف ذراعها حول رقبة خروفة العيد فقلت لها :

ـــ لابد أن اسمه يبدأ بحرف « فـ » .. فيفى مثلا .

فقالت وهى تنظر الى بعينيها السوداوين النجلاوين :

ـــ ولماذا ؟

ـــ لانه صديقك الجديد .

فابتسمت وقالت :

ـــ أتغار منه ؟

فقلت فى قسوة :

ـــ ليس بينى وبينك ما يدعو الى الغيرة ، ولكننى اعجب .

ـــ تعجب من ماذا ؟

ـــ من استبدالك خروفا بخروفة ، وان اخيرهم لخيرهم جميعا .

فلم تغضب ، بل ابتسمت وقالت :

ـــ ولماذا ؟

ـــ لأنه ليس له عقل ليفطن الى انك تدللينه ثم تذبحينه .

تلاح الغرور فى عينيها وقالت :

ـــ اننى لا افعل ذلك الا مع الخراف .

وراحت الشمس تغيب فى الأفق البعيد ، فسارت صوب السلم لتهبط فيه ثم التفتت الىّ وقالت :

ـــ كل سنة وانت بخير ..

ـــ وانت بخير .. والسنة اللى جايه تضحين بأربعة خرافة !

وانقضى العيد ، وفى ذات ليلة سرت تحت شباكها دون ان المحها واذا بصوتها يمس اذنى :

ـــ اتمر هكذا دون ان تلقى تحية ؟ ..

فوقفت ورفعت رأسى اليها فرأيت على ضوء المصباح الخافت بسمة رقيقة تولد على شفتيها فقلت :

ـــ مساء الخير .

ـــ مساء النور .. غدا فى العاشرة صباحا سأنتظرك عند كشك الموسيقى بحديقة الأزبكية .

وانطلقت فى طريقى وقد اخذ قلبى يخفق بين ضلوعى وارهفت حواسى ، وهب شيطانى يزين لى الذهاب للقياها والنعيم بقربهـــا وليكن بعد ذلك ما يكون ..

ودخلت فراشى وانا قلق أرق يتنازعنى وجدانى واصغت سمعى لصوت عقلى فراح يقول لى : انها ستذيقك طعم السعادة أياما ثم تلفظك لفظة النواة وتتركك حليفة الضنى والسهاد وهى تنظر اليك متلذذة سعيدة بلوعتك منتشية لانتصارها عليك ، فلماذا

تنقاد اليها لحظات هنية يعقبها حسرات طويلة وهم مقيم ، فاشتر الكثير بالقليل .

وبت تلك الليلة وانا اتقلب فى فراشى كأنما اتقلب على جمر وان كنت قد عزمت فى اعماقى على الفرار منها لأنجو بنفسى .

واشرقت شمس اليوم الموعود فاذا بشيطانى يستيقظ ويوسوس فى صدرى ويغرينى بالذهاب ، فاليوم لنا وغدا يتكفل بنفسه . وخشيت ان ينتصر على شيطانى فصحت فيه : لن اسير يقدمى الى حظيرة الخراف ابدا .

وهبت حواسى تشد ازر شيطانى فاذا بمشاعر رقيقة حالمة تتبثق فى اغوارى ، وخفت ان تندك مقاومتى وان يقودنى ضعفى الى حتفى بظلفى فهرعت الى ابى الوذ به ، قلت له :

ـ فى سينما تريومف رواية رائعة واليوم آخر ايامها ، ارى أن نذهب لمشاهدتها فى عرض الساعة العاشرة .

وما زلت به حتى وافق فأفرخ روعى ، فلن يقو شيطانى على ان يقودنى اليها بعد ان ارتبطت مع ابى بميعاد !

وفى عصر ذلك اليوم احسست رغبة فى الانطلاق الى حديقة الأزبكية ، فذهبت الى هناك واتجهت الى كشك الموسيقى ورحت اصغى الى موسيقى الصياد وفى القلب فرحة ، فقد اسعدنى انى اغدو واروح طليقا وانى لم اسلم لها زمام امرى لتقودنى الى الذل والهوان ..

وهمس فى اغوارى هامس : ان مجيئك الى هنا دليل على انك اسيرها .. لماذا جئت الى كشك الموسيقى وما كنت تذهب اليه من قبل ؟ لقد استجبت لوحيها ، فاذا كنت قد هربت منها فى الصباح

فقد جئت فى المســـاء . وضقت بذلك الهامس فأخذت أحاول اسكاته ، وطفقت اسعى لاقنع نفسى اننى نشوان .

وتحاشيت مقابلتها فلم اعد أصعد الى سطح دارها ، وصرت امر من طريق آخر غير ذلك الطريق الذى تطل عليه نافذتها المفضالة . وكنت أرى من شرفتى فريد وفتحى وهما يحومان حول دارها ذليلين حطمهما الهوى ، فكنت احمد الله اننى لم اذعن لشيطانى وارتمى فى احضان تلك الفتنة العابثة العاتية !

والتقينا مصادفة وجها لوجه ، فسرت رعدة فى أوصالى وراح قلبى يدق فى رعونة ، واستشعرت جفافا فى حلقى واضطربت انفاسى واتسعت عيناى .. وحيتنى بايماءة من راسها واشرق وجهها بالابتسام ، وانطلقنا جنبا الى جنب . لم تعاتبنى لاننى لم أذهب الى كشك الموسيقى فى الميعاد ، ولم تشر الى ذلك الموضوع من قريب أو بعيد كأنما لم يحدث منى شىء ، فانتظم نفسى ورد الى طبعى ، وظللنا فى مسيرنا حتى دنونا من دارها فقالت لى :

ـــ اننى ذاهبة الليلة لسماع ام كلثوم فى صالة سانتى .

وعطنت الى انها تواعدنى على اللقاء هناك ولكننى لم انبس بكلمة . ودلفت الى دارها بعد أن حيتنى ، وانطلقت الى دارى وانا هادىء النفس لم يستيقظ شيطانى ، وظلت مشاعرى فى سبات ولم يصبح صدرى مسرحا لصراع رغباتى المتضاربة ، فما كنت فى ذلك الوقت أجرؤ على المغيب عن الدار بعد التاسعة مساء ! ..

وفى عصر اليوم التالى هرعت الى حديقة الأزبكية وصعدت الى صالة سانتى وجعلت اتجول فى جنباتها ، وتقضت أيام واستشعرت حنينا اليها ، واستبدت بى رغبة مقابلتها فهممت بالذهاب الى سطح دارها ، وانتهز شيطانى فرصة استنامة كبريائى

فراح يحرضني على البوح لها بحبي . وكدت اركن الى وسوساته واذا بمقاومتي تهب من رقادها تصرخ بي ان اضع حدا لضعفي وان اقضي على ذلك العبث لأنتشل نفسي من البوار ..

وفكرت وأمعنت الفكر ودبرت كل شيء ، حتى اذا ما خيم الظلام خرجت أنقب عن فتاة كنت أعرفها ، فلما قابلتها سرت معها وانا اقودها لأنفذ ما دبرت .

ووصلنا الى الطريق الهـادىء الذى تطل عليه نافذتهـا فاستشعرت رهبة وكدت أدور على عقبى واعود من حيث جئت ، ولكني اخذت أتقدم حتى وقفنا تحت المصباح القريب منها . ولمحتها تنظر الينا فاضطربت ولكنني لم أحجم عن انفاذ ما حزمت عليـه أمرى ، فضممت الفتاة الىّ وقبلتها .. فاغلقت فتحية شباكها فى عنف ، فثلج صدرى واحسست احساس الناجى من الغرق بعد ان حسبت ان كل ما بيني وبينها قد انتهى ..

ولكن تصرمت الأيام ولم تخمد ثورة روحى ، بل كانت تزداد تأججا وضراما .. وطغى وجدى واستبد بى شوق موطدت العزم على الذهاب اليها ابثها حبى ، وأروى ذلك الظما الذى أحسه فى اغوار مشاعرى .. فلماذا أحكم على نفسى بالموت عطشا والرى مبذول لى ؟؟

وارتديت ثيابى وبالغت فى تأنقى ، ثم هرعت الى دارها خافق القلب . وقبل ان اصعد الى السطح علمت انهم رحلوا وغادروا الحى ، فانصرفت منقبض النفس كسير الفؤاد ..

رحت انقب عنها فى كل مكان .. كنت اذهب الى حديقة الأزبكية فى الغدو والآصال لعلى القاها ولكن هيهات ، وكنت كلما ذهبت الى السينما أدور بعينى فى أرجائها ابحث عنها هنا وهناك

دون جدوى ، فدب اليأس فى قلبى وحقدت على نفسى وتمنيت لو اننى أطعت شيطانى ورويت ظمأ روحى واسترحت مما أنا فيه من عذاب ، فالنار التى تتلظى فى أحشائى اشد قسوة من نار الهجر بعد الوصال .

ووطنت النفس على ان اعب من كاسها اذا قابلتها ولن احفل بما يكون — فقد كان كل همى ان اسكت حواسى التى كانت تؤرقنى وتخزنى وخزا ما اقساه ..

وتقضت السنون ، وقد غابت عنى كما تغيب القطرة فى المحيط ... ولم تجمعنا الا صدفة اليوم . كنت احسب ان عاطفتى نحوها قد ماتت فاذا بلقائنا يؤكد لى ان النار الخابية تحت الرماد سرعان ما تتأرجح اذا نفخ فيها نافخ او حركها عود .

وخطر لى خاطر خفق له قلبى : ترى لو دعتنى بعد تلك السنين الطويلة التى تفصل بيننا ، أأهرع اليها ملبيا دعوتها ؟ . وهززت راسى لأفيق من الحلم الذى عبث بأوتار فؤادى ، وجعل الدم الحار يتدفق فى عروقى بعد طول ركود .

واسدلت ستار النسيان على ذلك الماضى ، ولكن ما ان مرت ثلاثة ايام على لقائى بهـــا فى بيت زوجها حتى دق التليفون فى مكتبى ، واذا بصـــوت رقيق يمس اذنى .. فاضطربت وانبهرت انفاسى وتصبب العرق منى .. كانت فتحية تخبرنى انها ذاهبة وحدها فى المساء الى سيتما كريستال ، فلما سألتها عن حمدى انبأتنى انه غائب الليلة فقد سافر الى الاسكندرية .

ووضعت سماعة التليفون وانا خافق القلب ، وراحت الأفكار تنثال على راسى .. واستيقظ شيطانى يصرخ بى ان الفرصة التى عشت ارقبها سنين طويلة قد سنحت فعلى الا ادعها تنساب من بين

اصابعى ، وأن اروى عطشى واشبع جوعى واطفىء تلك النار المتأججة فى أحشائى ، فاستقر رأيى على أن اذهب للقياها ..

وبدأت الشمس فى الغروب فانتابنى قلق ولفتنى حيرة ، وارهفت حواسى ودق قلبى وجعلت ازفر فى صوت مسموع ، وانبثقت فى جوفى مشاعر متباينة متصارعة ، فانطلقت الى زوجتى لانتشل روحى من تلك الدوامة التى ادور فيها وقلت لها .

ـــ اننا ذاهبان الليلة الى سينما متروبول .

وخرجت انا وزوجى وسرنا فى الشارع الجديد الذى شق فى حديقة الأزبكية ، فلما وقع بصرى على كشك الموسيقى الملقى على جانب الطريق فى اهمال كامرأة عجوز ، احسست غصة فى حلقى ودمعة تترقرق فى مقلتى .. وانطلقت صامتا امضغ حزنى وحدى ... حتى اذا بلغنا شارع فؤاد وقفت زوجى تنظر فى واجهات المحال .. ووقع بصرى على مرآة قريبة منى فادمت النظر الى وجهى ، فلما لمحت تلك الشعرات البيض التى نبتت فى رأسى استشعرت أسى ، وتيقنت أننى أصبحت أعيش على هامش الحياة ككشك الموسيقى القابع الآن فى ذلة على جانب الطريق .. بعد أن كان ينبض بالقوة ويبعث فى النفوس الآمال ..

الجوع

ـــ شريفة .. أليس عندك ما آكله ؟ انى أموت من الجوع .

ودوى الصوت فى جنبات الحجرة ـــ وان كان قد خرج من بين شفتى الأم المجوز التى جدل الشعر الأبيض رأسها وكسا الهزال عظمها ـــ خافتا واهنا ، والتفتت شريفة بعينين زائغتين الى حيث كانت امها وصراخ بطنها يطغى على جلبة السيارات وجلجلة الترام وضوضاء العربات المنطلقة فى شـــارع الفجالة ، والتى كانت عجلاتها ترى من النافذة الوحيدة العالية التى يتسلل الضوء منها ، فقد كانت الغرفة غارقة فى بطن الأرض ينزل اليها بدرجات من حجر اكلته الأقدام الحافية والأحذية البالية .

ونهضت شريفة فى تراخ .. وكانت على يقين من أن البيت قد خلا من كل ما يؤكل ، فقد بحثت وتقبت بالأمس لما جن الليل عن كسرة خبز ولم تجد شيئا .. ونامت طاوية وقد ضغطت بطنها ببطن امهاالخاوية ، بيد انها راحت تتلفت فى يأس فلم تر الا الجنادب تندفع من الثقوب المنتشرة فى كل مكان من الجدار الى الحصيرة الممزقة التى تغطى جزءا من الأرض السوداء ، تجلب

منها اعوادا تحملها الى جحورها ، وصفوفا من النمل فى غدو ورواح ورواح فى حركة دائبة .

والتفت بأرجاء الحجرة .. والتقت عيناها الذابلتان بعينى امها اللتين كان ببياض سوادهما فحصت وسرى بين ضلوعها البارزة من تحت جلدها يأس مرير .. الا انها لم تستسلم له ، بل ذهبت وهى تجر نفسها جرا الى الصنبور وفتحته واخذت تغسل وجهها بالماء القراح ، فقد ذابت آخر قطعة من الصابون عرفت طريقها الى هذا الخندق منذ شهور . منذ أن قطعت كل صلة تربطها بالبقال القريب من مسرح مأساتها .

ومدت يدا نفرت عروقها وتناولت مشطا لم تبق به الا اسنان قليلة ، ونظرت الى وجهها فى بقايا مرآة كانت مثبتة فوق صنبور الماء ، وراح المشط يتخلل شعرها وهى شاردة ، ولمحت هلالا اسود يحف بأسفل عينيها فدق قلبها فزعا .. انها لم تبلغ الخامسة والعشرين بعد وقد غاض لونها ولاح الجهد فى كل أجوف وفى كل بارز من محياها : « ما هذا الاصفرار يا شريفة ؟ شفتاك جفتا وتشققتا .. عيناك خبتا .. أين بريقهما ؟ » . وفرت من امام المرآة كأنما فر من شبح .

وراحت تخلع ثوبها الممزق فى تخاذل ، والقت نظرة سريعة على قميصها فوقعت عيناها على ثقوب انتشرت به . وفكرت فى ان تستبدل به آخر ولكنها تذكرت انها لم تخلع ذلك الآخر الا بعد ان صار كالجلد من العرق الغزير الذى امتصه ولم تجد معها ما تشترى به صابونا لتغسله . فضغطت بيدها على القميص تبسطه ، ثم ذهبت الى حيث تحتفظ بالثوب الوحيد الذى تخرج به وتناولته واخذت تلبسه فى حرص .

ورات الأم ابنتها وهى تسبل ثوب الخروج على الأسمال الملتصقة بجسدها ، فقطنت الى ما تعتزم أن تفعله ، فنهضت اليها وسارت تجر نفسها وتقول :

ـــ انى ذاهبة معك يا شريفة ..

وصمتت شريفة ولم تعترض على خروج أمها معها وان كانت على يقين من أن ذلك الخروج لا جدوى منه ، بل انه يعوق حركتها وقد يضيع الفرص القليلة التى تلوح لها . كانت تفهم ما يدور برأس العجوز .. انها فى لهفة على أن تطمئن الى أن شيئا ما وشيك الدخول الى جوفها ليكتم انفاس ذلك الغول الذى ينهش حشاياها .

وخرجنا الى بئر السلم ولم تحسا رطوبة المكان ، ولم تزكم انفيهما الرائحة العفنة التى تفوح منه ، ولم تتكرا الظلام الذى تراكم بعضه فوق بعض وان كان النهار قد انتصف . فالظلام الذى ران على روحيهما اثقل من أى ظلام ملأ عيون البشر .

وراحتا ترقيان السلم فى هوادة وان كانتا تترنحان من الوهن خشية أن تزل القدم ، وخرجتا الى الطريق فبهر الضوء عينى شريفة ، بينما لم تستشعر الأم شيئا فقد اسبلت جفنيها على عينيها اللتين كاد سوادهما ان يذهب ، بعد أن علقت ذراعها فى ذراع ابنتها وتركتها تقودها الى حيث اعتادتا أن تقفا فى مثل هذه الساعة من النهار .

وولتا وجهيهما شطر ميدان المحطة ، وما سارتا خطوات حتى كانتا أمام دكان العم سليمان البقال فالتفت شريفة نفسها عاجزة عن أن تكبح جماح عينيها من أن تلتفت اليه . كانت فى قرارة نفسها تمقت أن ترى سحنته البغيضة التى زاد فى النفور منها ذلك الأنف الضخم ، والعينان الضيقتان اللتان تشعان خبثا ، وتلك الحمرة

الصغيرة المنتشرة فى وجهه التى تركها الجدى خلفه ، بيد ان شيئا ما فى اعماقها يرغمها على ان تلوى عنقها نحوه .

رأته بكرشه البارزة وجلبابه الذى يغطى الزيت صدره ، وشاربه الذى تركه يملأ وجهه دون ان يخطر على باله أن يهذبه مرة ، وجاهدت حتى اشاحت بوجهها عنه ووسعت من خطوها وراحت تجر امها التى اسلمت لها قيادها ، ولم تلتفت ناحية دكان العم سليمان وتبصق كما اعتادت أن تفعل كلما مرت به ، فقد أماتت الجوع كل رغبة وقضى على كل شهوة من شهوات الجسد الا شهوة طلب القوت الذى يمسك الرمق .

ووصلتا الى دكان السماك فاذا بهما تتمهلان فى سيرهما ، ونفذت رائحة السمك الى خياشيمهما فسال لعابهما .. ومررت الأم لسانها على شفتيها الجافتين ومدت عينيها الى حيث تشتهى ، فاحست بكيانها كله يهفو الى تلك القطع التى تكدست امام السماك والتى تركزت فيها كل شهواتها وآمالها .

واحست شريفة ما احست به امها ، وشعرت كأن يدا قوية لا قلب لها تعتصر امعاءها اعتصارا ، وبللت الدموع مقلتيها وراحت تبلع ريقها لتريح تلك الشوكة التى خيل اليها انها واقفة فى حلقها ، ثم جذبت امها فى رفق وهى تقول فى صوت خافت مضطرب :

ـ سنشترى سمكا عند عودتنا .

واستأنفتا سيرهما . « واين النقود يا شريفة ؟! انك خرجت بالأمس كما تخرجين اليوم وكنت تأملين ان تعودى وفى يديك ما يكفيكما اياما وقد عدت بلا شىء .. كنت بالأمس سيئة الحظ .. اما اليوم فساعود بما اشترى به السمك . لن يتخلى الحظ مرتين .

السمك ! رائحته اروع من ازكى عطر . طعمه اشهى .. اتذكرين طعمه يا شريفة ؟ ! رائحة العم سليمان نتنة ، طعمة .. » وتقلصت عضلات وجهها واحست رغبة فى أن تبصق ولكنها لم تفعل .

ووصلتا الى ميدان المحطة ووقفتا على الطوار بالقرب من اشارة المرور وراحتا ترقبان السيارات فى اندفاعها وترصدان اشارة المرور ، حتى اذا ما اضاء النور الاحمر ووقفت السيارات القادمة من شارع الجمهورية ابتعدت الام عن ابنتها وان كانت ترعاها بعينيها وعيون خوالجها وجوارحها ومشاعرها ، فقد ازفت اللحظة التى يتقرر فيها مصيرهما .

وراحت شريفة تستعرض السيارات فى قلق ولهفة ، ورات شابا جالسا خلف عجلة القيادة انه وحده . « هذا هو بغيتك يا شريفة . سيارة فاخرة . انه غنى . سيدفع جيدا » واشارت له بيدها ملوحة « انه يبتسم لك يا شريفة .. اسرعى .. اسرعى قبل ان تفتح اشارة المرور » .

واندفعت شريفة صوب السيارة وامها ترقبها واجفة القلب ترجو بكل جوارحها ان توفق ابنتها فى يومها هذا حتى لا تموتا جوعا .. شريفة تمرق بين السيارات .. انها تدنو من السيارة الحمراء ، ها هى ذى يدها على مقبض الباب .. ستفتحه .. ستفتحه وتقفز .. وى .. وى .. فتحت الاشارة .. السيارات تتحرك .. السيارة الحمراء سارت .. شريفة ! .. شريفة ! .. شريفة ! .

واخذت شريفة تجاهد لتعود الى الطوار دون ان تدهمها السيارات ، وامها ترقبها فى خوف شديد وجسدها الواهن يضطرب اضطرابا ، وكادت تند منها صيحات جزع ، بيد ان شريفة استطاعت

أن تفلت من الأخطار وتعود الى حيث وقفت أمها تنتفض . وما مرت لحظات حتى أخذتا ترصدان اشارة المرور مرة اخرى بعد أن انطلقت السيارة الحمراء فى طريقها وغابت عن عيونهما .

وركزت شريفة بصرها على الاشارة الحمراء . وسرعان ما شردت ورأت نفسها فى محل الخردوات الذى كانت تعمل به . اتضح المحل لها كأنما تراه رأى العين .. ها هو ذا مكانها خلف المعرض الزجاجى الذى نسقت فيه أنواع الدانتيلا ، وها هى زميلاتها الثلاث فى أماكنهن ، وها هو ذا محمد افندى بنظارته السميكة وشعره الأبيض وقلمه الذى لا يفارقه يدون به كل ما يخرج من المحل وكل ما يرد اليه ، وها هو ذا السلم الخشبى الذى يقود الى الغرفة العلوية ، غرفة صادق افندى صاحب المحل .

ورن فى أذنيها صوته .. انه يدوى فى أذنيها فى سكون الليل وفى جلبة النهار .. فى اليقظة وفى المنام :

— شريفة .. تعالى .

وراحت تصعد فى السلم الخشبى ودخلت عليه تحس رهبة . بيد أن هذه الرهبة سرعان ما ماتت لما ابتسم لها وقال :

— سرنى اجتهادك فى عملك يا شريفة ، وقد رأيت أن اكافئك .

ومد يده وربت على خدها فأحست تيار الخجل يشوى وجهها ، وارتجفت وراحت تتلفت فى قلق . ونادى قائلا :

— محمد افندى .. تعال .

وصعد محمد افندى وهو يلهث فقال له :

— ارفع مرتب شريفة خمسين قرشا .

« كان مرتبى ضئيلا ولكنى كنت أجد جنيهات فى يدى أول كل شهر . كنت آكل بها انا وأمى وأدفع منها ايجار البيت » .

والتفتت الى أمها فرأتها ترقب اشارة المرور فى ضيق وملل ، كانت لا تزال خضراء . وعاد صوت صادق افندى يرن فى أذنيها منادبا :

ـــ شريفة ! تعالى .

ورأت نفسها وهى تصعد فى الدرج الخشبى ، كان الليل يزحف وكانت الزيلات مشغولات بطلبات الزبائن . انهما هى وهو وحدهما .. فى عينيه بريق يخيفها ، ترى ماذا يريد منها ؟ وحين رفعت يدها لتهوى بها على وجهه .. كان فى ذلك الجواب على ما يريد .. انها غير نادمة .. بل راضية عما فعلت ، ورفع يده وهوى بها على وجهها ، ثم صاح وهو يزمجر :

ـــ محمد افندى ، تعال .. تعال .. يا ساقطة .. يا ساقطة .. انا رجل متزوج .. انا رجل عيني مليانة .

ودخل محمدافندى يتكئا ، وصاح صادق فيه :

ـــ اخرج هذه الساقطة من هنا .. اطردها .. لا مكان لمثل هذه الساقطة فى دكانى .. اخرجها .. اخرجى ..

ورأت نفسها وهى تسير والدموع تغسل وجهها ، وصوت يرن فى اعماقها : « الموت احب الىّ مما يدعونى اليه » .

وأضاء النور الأحمر وأغلق الطريق امام السيارات القادمة من شارع الجمهورية ، واسرعت الأم لتبتعد عن ابنتها وتتركها فى الميدان وحدها ، وان كانت معها بكل مشاعرها التى ايقظتها عضات الجوع القاسية .

وفرت شريفة السيارات بعينيها فرأت بالقرب منها سيارة بها رجل اعتقد أنه صديقها ، فخفت اليه وأمها ترقبها وقد كتمت انفاسها رهبة .. شريفة تتقدم .. انها تفتح الباب .. انها تقفز الى داخل

السيارة .. اغلقت الباب خلفها .. لا تزال الاشارة حمراء .. متى تفتح ؟ ! متى تفتح ؟ !

وقبل ان تزفر الام فى راحة وقعت عيناها على الرجل ، انه متجهم الوجه .. انه غاضب .. ثائر .. الباب يفتح .. شريفة تهبط من السيارة مطرقة الراس .. الرجل يقفل الباب خلفها فى عنف .. الاشارة تفتح والسيارات تنطلق .. واحست الأم ان قلبها يتمزق .

وعادت شريفة تنظر الى النور الاحمر وعاودها شرودها ، فرات نفسها ليلة أن رجعت الى أمها بعد أن طردت من عملها . كانت تقص عليها قصتها وعبراتها تسيل على خديها .. وضمتها أمها الى صدرها وقبلتها فى حنان وقالت لها : لا تحزنى . غدا تجدين عملا آخر .. ما اكثر فرص العمل .

وراحت الاصوات ترن فى اذنيها مدوية متداخلة :

ـــ آسف .. لسنافى حاجة الى عاملات جدد .

ـــ عم سليمان .. هات رغيفين وبقرشين زيتون وبقرشين حلاوة . سادفع لك بعد أن اعمل .. ساشتغل قريبا .

ـــ لا توجد وظائف خالية .

ـــ عم سليمان هات رغيفين وبقرشين حلاوة وصابونة .

ـــ الحساب .. الحساب يا ست شريفة ! .

ـــ سادفع الحساب كله قريبا ..

ـــ الايجار .. لا أستطيع ان انتظر اكثر من هذا .. الايجار والا سالقى بكما فى الشارع ..

ـــ هل سبق لك العمل ؟

ـــ نعم .

ـــ اين شهادة خلو الطرف ؟

ـــ لم يعد عندنا ما نبيعه يا شريفة ، بعنا كل ما كان عندنا يا بنتى .

ـــ لسنا فى حاجة الى موظفات .

ـــ لابد من شهادة حسن سير يكتبها لك من كنت تعملين عنده .

ـــ صادق افندى .. ارحمنى .. ارجوك ..

ـــ اغربى عن وجهى .. لن اغش الناس ابدا .. ضميرى يأبى .. ضميرى يأبى ..

ـــ صادق افندى .. انا بريئة وانت تعلم ..

ـــ سافلة .. فاجرة ..

ـــ شريفة ! انى اموت من الجوع .

ـــ وماذا افعل يا امى ؟

ـــ اذهبى الى العم سليمان وهاتى رغيفين .

ـــ اقسم بالله ثلاثا انه لن يعطينا شيئا الا اذا دفعنا ما علينا ..

ـــ اذهبى اليه يا بنتى .. انى اموت من الجوع .

ورات نفسها وهى تخرج مطرقة الراس الى دكان العم سليمان .. كان الليل قد قارب على الانتصاف وكان باب الدكان الحصيرة المصنوع من صاج مدرج قد سحب استعدادا لان يغلق ، وما كان احد يستطيع ان يدخل منه الا اذا انحنى .. ووقفت شريفة امام الباب لحظات وهى مترددة بين الاقبال والاحجام ، ثم تقدمت مسلوبة الارادة وحنت قامتها ودخلت فاذا بها هى والعم سليمان وحدهما ولا احد معهما .

وقالت فى صوت خافت وهى تتحاشى ان تلتقى عيناها بعينيه :

ـــ اعطنى رغيفين وقطعة من الجبن .

ـ الثمن .. اقسمت الا اعطى شيئا الا اذا قبضت ثمنه .

ـ ليس معى الآن ما ادفعه .

.. وعادت الى البيت تحمل بين يديها ارغفة كثيرة ولفافات بها زيتون وجبن وحلوى وفى قلبها هم ثقيل .. فقد نال العم سليمان ما كانت تضن به على الرجال جميعا لقاء لقيمات تسكت صراخ البطون .

واضيء النور الأحمر ووقفت السيارات القادمة من شارع الجمهورية ، وابتعدت الأم عن ابنتها وتقدمت شريفة تجوس خلال السيارات وتوجه نظرها الى عيون الرجال الجالسين فيها لعلها ترى فى عينى أحدهما نداء ،الا ان اشارة المرور فتحت قبل ان تعثر على من يحملها معه الى حيث يريد ، ثم يضع فى يدها نقودا تشترى بها سمكا لأمها .

وعادت الى الطوار تنتظر ان يقفل المرور وتقف السيارات لتستأنف محاولاتها ، وراحت صور حياتها تطفو على سطح ذهنها .. رات صاحب البيت يصيح بها قائلا :

ـ الايجار .. لن أستطيع ان اصبر اكثر مما صبرت ..

ورات نفسها تقترب منه وتلتصق به .. وانهارت مقاومته .. وفى لحظات كان يقول لها :

ـ بيتى كله لك .

ودست الايصالات فى صدرها .

ومرت شهور لم يفزعها فيها شبح ايجار الشقة ، وذات يوم جاء صاحب البيت وخفت اليه لتستقبله بالقبل كما اعتادت ان تفعل كلما جاء ، واذا به يستقبلها بلطمة قوية اعقبتها بصقة فى وجهها ثم زمجر قائلا :

ـ اريد الايجار .

عاد الايجار يثقل كاهلها ويزيد فى همومها .

ورات نفسها تخرج فى الليل والنهار وتعود بالطعام لامها وتضع فى يدها كل ما يتبقى معها من نقود . كان راكبو السيارات ايسر صيدا وامنه ، وقد اغراها ذلك ان تخرج كل يوم فى مثل هذا الوقت وتقف عند اشارة المرور تلقى شباكها . كان الأمر سهلا اول الامر .. حملت الى بيوت كثيرة .. وتناولت اشهى الاطعمة ، وعادت بجنيهات ، وصعرت خدها للعم سليمان .. اما الآن فقد صار الامر صعبا ، مرت ايام لم تنل فيها شيئا ، ذاب فيها ما كان عندها وعاد الجوع يطل بانيابه البشعة على جحرها ، حتى ان امها اضحت تخرج معها وتقف بعيدا لتطمئن الى ان شيئا ما وشيك الدخول الى جوفها !

واغلقت اشارة المرور امام السيارات القادمة من شارع الجمهورية وابتعدت الام عن ابنتها فى تخاذل ، كانت تحس انها ستنهار ، وزاد فى وهنها ان اليأس بدأ ينتشر بين ضلوعها ، وقر فى راسها أن يومها لن يكون افضل من امسها . وانسابت شريفة الى السيارات ، واخذت تقلب عينيها فى راكبيها من غير حماس . لاح فى وجهها تنوط واعياء وسربلتها مسكنة تحرك الشفقة اكثر مما تحرك الاشتهاء .

وانطلقت السيارات فى طريقها ، وتفلت شريفة راجعة الى الطوار وهى تحس غيبوبة تسرى فى كيانها ، بيد أن ذهنها ظل يعمل .. رأت نفسها فى « جروبى » جالسة تحتسى القهوة عند الغروب .. كانت تجلس الى مائدة وحدها وكان المكان غاصا

بالناس ، وتقدم شاب على استحياء ونظر الى الكرسى الخالى امامها وقال :

ـــ اتسمحين ؟

ـــ تفضل .

وجلس .. وتحادثا .. وقبل أن ينصرفا كان صالح قد ضرب لها موعدا ليتقابلا .. والتقيا وتوجها الى السينما ، وقبل ان ينصرفا ذهب بها الى محل فاخر لبيع الحلوى واشترى كيلو شيكولاتة قدمه اليها : « يا مغفل ! شيكولاتة وليس فى بيتنا خبز ؟! لو اعطيتنى نصف ما انفقته على اليوم لكنت اسعد الناس » .

ونظرت الى اشارة المرور الخضراء فى شرود ، ثم اسبلت جفنيها على عينيها ومشى فى جسدها وهن شديد ، احست انهـا ستنهار بيد أن صوت صالح مس اذنيها فى وضوح وان بدا انه قادم من مكان سحيق ، قال :

ـــ شريفة سنسافر غدا الى الاسكندرية .

ـــ امرك .

ـــ سنتقابل فى السابعة صباحا .

ورات نفسها وهى تتجه معه الى المطار فقد اصر على ان يذهبا اليها بالطائرة .. وعاودتهما الافكار التى راودتها وهى فى الطائرة الى جواره : « يا مغفل لماذا كل هذا التبذير ؟ اعطنى بعض ما تبعثره فى الهواء اعطك ما تريد واكثر » .

وتذكرت ما دار بينهما فى ذلك اليوم من حوار فاحست بجسدها كله ينتفض وقلبها ينز أسى ، واستشعرت آلاما فى روحها تكاد تطغى على آلام الجوع الكافر :

ـــ شريفة ! تعلق قلبى بك منذ اول يوم رأتك فيه عيناى . اريد

ان اتوج هذا الحب بالزواج فما رايك ؟ . . لماذا هذا الصمت ؟ قولي نعم أو لا . . قولي اى شيء . . اعرف يا شريفة انك لست غنية واعرف ان لك اما ليس لها غيرك . ستكون امك امي . . سيصبح لها ابن برعاها ويكرم شيخوختها . . كل ما اريده يا شريفة زوجة تصون شرفي ؟ ما رايك ؟

ـــ صالح . . اعفني ارجوك .

ـــ اتبكين يا شريفة ؟ انا لا افهم شيئا . . تكلمي . اريحي قلبي .

ـــ لا احب ان اكذب عليك يا صالح سابوح لك بسري . خطبني زميل من زملائي الذين كانوا يعملون معي في المحل واتفق مع امي على ان يعقد عليّ ليلة ازفاف ودفع لأمي المهر . كان يمر عليّ في الصباح ونذهب معا الى العمل ، وكنا في الليل نتجول في المدينة نحلم بمستقبلنا المشرق الذي ينتظرنا ، وما كنا نعلم ان الزمن يخفي لنا في غيبه مأساة ، فقد مرض خطيبي ومات بعد أن نال مني . . كل شيء . . كل شيء .

والتفتت بعينين زائغتين تبللهما الدموع الى حيث كانت السيارت مقبلة . . لا احب ان اكذب عليك يا صالح . كانت حياتك كلها يا شريفة كذبة متصلة . . الموت احب الىّ مما يدعوني اليه . . لماذا تأخرت ؟ لماذا تأخرت يا صالح ؟ . لو انك جئت قبل ان يطردني ذلك الوغد من دكانه وقبل ان ينهشني الوحش النتن في دكانه انا لتأسبت ما قاسيت ، ولكنك جئت بعد الأوان ، بعد ان ضاع ما تبحث عنه .

وقصف صوت صالح في خيالها كقصف الرعد :

ـــ عشت منذ عرفتك احلم بيدي وهي موضوعة في يد موكلك ،

واصغى الى صـــوته وهو يقـــول : زوجتك موكلتى شريفة البكر الرشيده .. لا .. لا استطيع أن اتصور .. لا استطيع ابدا ..

وانطلقت اشارة المرور ووقفت السيارات ، وبقيت شريفة فى مكانها لا تتحرك . خيل اليها أن النور الاحمر السنة نيران تتراقص لتلسع قلبها وتشوى كبدها . وهمس صوت ضميرها فى اغوار نفسها : « ليتك يا صالح عرفت الحقيقة .. جسدى ولغت فيه الذئاب اما قلبى فلم ينفذ اليه احد سواك . لم اعرف طعم الحب قبل ان اقابلك ، ملكت كل حواسى ومشاعرى وان لم يلمس لحمك لحمى .. كنت اتمنى ان اجود بروحى فى سبيل ان اصون عرضك .. كنت مغفلا يوم جئت .. وكنت مغفلا يوم ذهبت بعد ان مزقت قلبى وقلبك » ..

واحست الارض تميد تحت قدميها ، ورأت من خلال الغشاوة التى بدأت تنسدل على عينها السيارات تتراقص ، وتماسكت وراحت تقارم ارادة جسدها أن ينقض ليستريح .

ودنت امها منها متهالكة متخاذلة وهى تهمس : « كنت فاكراكى يا رجليه شايله بطنى ، اتاريكى يا بطنى اللى شايله رجليه » .

وملأت صورة العم سليمان راس شريفة ، وتذكرت ما قاله لها قبل ان تقطع كل صلة بينها وبينه : « انا فى الخدمة دائما يا ست شريفة ، انا لا انسى ابدا اصدقائى » .

ولفت الأم ذراعها حول وسط ابنتها ولفت شريفة ذراعها حول امها ، وتقلتا عائدتين تجران ارجلهما جرا وتتحاملان على انفسهما حتى لا تقع احداهما على الاخرى من اثر الجوع .

الغيب

كنت وصاحباى نجتمع صباح كل يوم جمعة فى الكازينو ، وكان صاحباى من الشباب الذين تستهويهم النظريات الحديثة فكان كل منهما يعكف طوال الاسبوع على قراءة دارون وفرويد وماركس أو على بعض ما كتب عنهم ، حتى اذا ما حان موعد اجتماعنا راح كل منهم يردد ما قرأ فى حماس كأنه شريط تسجيل دون أن يحاول أن يفكر فيما قرأ أو يقلب الرأى فيه . وكان كل منهما يحاول أن يسيطر علينا بعلمه وهو فى قمة النشوة ، يحسب أن أحدا لم يسبقه لقراءة تلك الفلسفات المادية . وقد كان يخيل الىّ احيانا انهما اشبه بشاب يافع قد بلغ الحلم فظن أن أحدا من العالمين لم يستشعر مثل ما استشعر به . كنت أصغى اليهما وما كنت أحب أن اناقشهما أو أجادلهما فما كان ما يرددان من آراء جديدا على ، كنت قد قرأته محايدا وأخذت فيه قرارا وانتهى الأمر .

وجاء الجرسون وطلب صاحباى بيرة وطلبت « اسبانس » فسخرا منى سخرية خفيفة ، فرأيت أن أبلعها حتى لا أعكر جو الجلسة ، ورحنا نخوض فى الأدب والأدباء فأنكرا كل الكتاب المصريين والعرب أمعاننا فى الترفع . وليوهمانى أنهما « الدستوبرمان » الذى كان يحلم به نيشته أو أنهما من رجال المدن الفاضلة . .

وقبل أن يؤذن المؤذن لصلاة الجمعة استأذنت منهم ، وما إن قضيت الصلاة حتى عدت اليهما فلما رآنى قال احدهما فى انفعال :

ـــ كيف يؤمن مثقف مثلك بالغيب والغيبيات ؟

وقال الآخر ساخرا :

ـــ والأدهى من ذلك انه يؤمن بالاحلام .

ورأيت الا ابتلع هذه السخريات فقلت لهما :

ـــ فلنتجادل بالتى هى أحسن . انكما شربتما البيرة فلم انهركما ولم افكر فى أن انهاكما وتركت لكما حرية الشراب وان كانت رائحة البيرة تضايقنى ، فلماذا غضبتما لأننى ذهبت للصلاة ؟ من منا اوسع افقا ؟ لعلكما تجدان فى الشراب نشوة وانا اجد فى صلاتى نشوة ، فلماذا تحاولان ان تحجرا على حريتى وان تحرمانى نشوة اسعد بها وينشرح لها صدرى . من منا المتزمت المتحجر ؟ تركت لكما حرية الخطيئة فلماذا تحاولان أن تدفعانى بعيدا عن طريق الأمن والسلام .

ـــ اننا نريدك أن تصحو ، أن تفيق من الوهم الذى تعيش فيه .

ـــ آسف ان اقول لكما انكما لا تزيدان عن ببغاوات وان اشرطة التسجيل انفع منكما وأصدق . انكم تتحمسون لما تقرءون دون تفكير ، فما تقرءون يسلبكم حرية التفكير بل يجعلكم عبيدا لما تقرءون . تحدثتما فى الصباح عن النشأة الأولى وعن التطور والارتقاء وعن الحلقة المفقودة وكلام كثير لا يصمد طويلا لاى تفكير هادىء سليم . ان الدين لا ينكر التطور : « ما لكم لا ترجون لله وقارا ، وقد خلقكم أطوارا » ولكن الدين والمنطق السليم ينكران ان الأصل خلية حية تطورت حتى صارت بشرا سويا . فلو سلمنا بذلك

التطور. فهل النتيجة النهائية لكل ذلك ذكر ام انثى ؟ فلو كانت النتيجة ذكرا فلابد من تطور آخر تكون نتيجته انثى حتى تبدأ الحياة .

ولو حدث مثل ذلك التطور الثنائي لكان اكبر دليل على تدبير عاقل ، وعلى وجود مدبر حكيم . وما دمنا قد وصلنا الى المدبر الحكيم فالخلق اقرب الى المنطق والعقل من التطور والى افتراض وجود حالة مفقودة . وعيب النظريات المادية كلها انها تقوم على افتراضات خاطئة منهارة ، فكيف تكون النتائج سليمة اذا كانت الافتراضات غير سليمة ؟

يا صاحبي الكازينو سمعتكما كلما خضنا في موضوع حيرنا قلتما : ايهما وجد اولا البيضة ام الدجاجة ؟ فلنفكر في هدوء قليلا — ان كنا كبد الحقيقة نريد — اني اسالكما : هل اذا باضت دجاجة ليس معها ديك ، هل يمكن أن تفقس مثل هذه الدجاجة كتكوتا ؟ .

— لا ، لا بد ان يكون بالبيضة التي تفقس « كسر » ديك .

— اذن لابد من ديك ودجاجة حتى تبيض الدجاجة بيضة صالحة للفقس .

— هذا لا شك فيه .

— فلماذا تسالون دائما : « مين اللي اتوجد الأول الفرخه واللا البيضه » ؟ أتعرفان لما ترددان ذلك ؟ لانكما اعتدتما ان تتلقيا كل ما يأتينا من الغرب دون تمحيص . لو فكرنا بعقول حرة لاهتدينا الى أن كثيرا مما يأتينا من عندهم ليس له الا البريق .

يا صاحبي الكازينو لابد من دجاجة وديك لتاتي بيضة صالحة للفقس والتفريخ ، فالدجاجة والديك اسبق من البيضة لو كنتم تفكرون .

يا صاحبي الكازينو بقيت النقطة الاخيرة ، النقطة الاخيرة

التى اثارت كل هذا الجدل ، الغيب وايمانى بالغيب . واقول الحق انكما مغرورات ، فنتائج المعامل المذهلة ادارت راسيكما ، فاسمحا لى ان اناقشكما الآخر مرة فى هدوء . قولا لى : اذا قربنا سلكا سالبا من سلك كهربائى موجب ، فماذا يتولد ؟

ـــ كهرباء .

ـــ ما هى الكهرباء ؟

فصمت صاحباى فقلت لهما :

ـــ غيب .

وعدت اسال :

ـــ اذا قربنا مغناطيسا من مسمار فماذا يحدث ؟

ـــ ينجذب المسمار الى المغناطيس .

ـــ فما هى المغناطيسية ؟

ولم يجر صاحباى جوابا فقلت :

ـــ غيب .

ثم قلت لهما :

ـــ اذا وضعنا حامضا على معدن ما فماذا يحدث ؟

ـــ تفاعل .

ـــ فما هو التفاعل ؟ غيب .

كنا نتصور أن الموجات الصوتية او الضوئية تسبح فى الاثير ، ثم جاء اينشتين واثبت ان ليس هناك اثير . لقد كان الاثير غيبا بالنسبة لنا قبل اينشتين واصبح فراغا بعد اينشتين . ان الانسان

قد فتت الذرة ، مره تكون نتيجة التفتيت شعاعا ومرة تكون حرارة . كل ذلك عيب ولا شيء غير الغيب . اللهم الا نتائج وظواهر يفتتها استخدامنا لها ونحسب من فرط جهلنا وغرورنا أن الغيب قد أسفر عن وجهه .

ان المعمل لم يثبت الا حقيقة واحدة هى الغيب . وكل حكمة الحكماء وعلومهم ان هى الا آراء بشرية ناقصة وظنون لا تبلغ من عالم الغيب الا انه موجود مجهول .

يا صاحبى الكازينو كلنا سواء ، المؤمن بالغيب والمؤمن بالمعمل ليس امامنا الا حقيقة واحدة أن نؤمن بالغيب .

ونظر أحد الصديقين الى ساعته وقال :

ـ حان وقت الانصراف .

فانصرفنا ورحت اتذكر قول برجسون :

ـ ان البصيرة بصر باطنى للعقل الذى اغلق عن عمد كل ابواب الحس الخارجى ما استطاع الى ذلك سبيلا .

ورحت أتذكر أيضا ما ورد فى أسفار اليوباتشاد : « اننا لا ندرك روح العالم بالتحصيل .. اننا لا نبلغه بالنبوغ والاطلاع على الكتب .. فليطرح البرهمى العلم وليعد طفلا .. لا يبحث البرهمى عن كلمات كثيرة ، فما هى الا عناء يشقى اللسان ، فنفاذ الراى الى جوهر الأمر أعلى درجات الفهم .

وراحت ابتهالات البراهمة ترن فى أعماقى :

ـ ايه يا روح العالم غير المجسدة ، يا جوهر العالم الواحد الشامل ، يايها المحتوى لكل شيء ، الكامن فى كل شيء . يا من لا

تدركه الحواس ، يا حقيقة الحقيقة ، يأيها الروح الذى لم يولد والذى لا يحق عليه الموت أو الفناء » .

« نظرت حولى أملأ نفسى بروعة الكون ، فاذا بى اشعر بفرح فياض واهيم لاذوب فى ملك الله ، وهتفت كل خلجة من خلجاتى :

ـــ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك .

فاجرة

— ١ —

سارت فردوس فى الغرفة الواسعة وهى تحمل بطانية رمادية من الصوف ، واتجهت الى الأريكة التى كانت تعدها لتكون سريرا للوافد الجديد ، وطوت البطانية ووضعتها فى عناية فوق طرفة الاريكة الخالى فقد كان فى الطرف الآخر وسادة صغيرة ، واسدلت على الجميع مفرشا أبيض راحت تمرر يدها عليه لتبسط ثناياته .

واتجهت الى الكنسول وراحت تجره ، واذا بزوجها يدخل ويقول لها :

— ماذا تفعلين ؟

— اقرب الكنسول من الفراش ، ليضع كتبه وأدواته فى ادراجه ويستعمله مكتبا .. ليس عندنا مكتب .

— ولماذا لم تنادينى لاساعدك ؟

— لم اشأ أن اتعبك .

فقال وهو يرمقها فى ود :

— تعبك راحة .

وشمر اكمام جلبابه واسرع اليها يعاونها .

كانت فردوس فى الخامسة والعشرين تمحية اللون واسعة العينين يلمع سوادهما لمعانا اخاذا وبياضهما ناصعا ، وانفها متناسبا وشفتاها رقيقتين منطبقتين على فم أشبه بجرح دقيق تتجمع دماؤه لتتفجر ، وغار طابع الحسن فى ذقنها ، وشعرها فى لون الفحم يبدو فيه الفرق الابيض كشريط من العاج مد فى وسط مخمل اسود ، وغطى مؤخر راسها منديل ابيض تدلت من حواشيه احجبة صغيرة شغلت من خيوط فى لون العقيق ، ونبعت من تحت المنديل ضفيرة غزيرة طالت حتى لمس طرفها اعلى جزء فى مجزها .

وكانت ترتدى ثوبا فضفاضا ناصع البياض اقرب الى جلباب الرجال ولكنه عجز عن أن يكتم سر الجسد الذى يحويه ، فالثديان الممتلئان يهتزان فى رعونة كلما اقبلت او ادبرت ، والارداف تتكور كلما مالت تلتقط شيئا او انثنت على السرير او الارائك او المقاعد تعيد تنسيقها ، اما الخصر النحيل والبطن الذى لم يعرف الحمل فقد كان يفضحهما ضمها لحشية كبيرة بين ذراعيها ورفعها على صدرها ، فالثوب يشد حول الجسد شدا ويكشف سحره .

وكان سويلم يخطو نحو الستين ، طويل القامة محدودب الظهر قليلا ، جاف الوجه مضعضع العينين تبعثرت فى ذقنه بعض شعرات بيض . يرتدى جلبابا من الصوف وان لم يكن الشتاء قد اقبل ، ويضع على راسه طاقية من الصوف .

ووضعا الكنسول بالقرب من الاريكة واخذت فردوس تنظف مرآته باوراق صحيفة ، ووقف سويلم يتطلع اليها بعينين راضيتين وقال :

ـ أهو ابن خالتك ؟

فقالت فردوس وهى مستمرة فى عملها وصدرها يترجرج :

ـــ امه ابنة خالتي .
وصمت قليلا ثم قال :
ـــ كم سنه ؟
ـــ والله لا ادرى . . آخر مرة رايته فيها كان طفلا صغيرا .
فغمغم :
ـــ طفل صغير ؟ !
ثم قال فى صوت فيه دهش :
ـــ وماذا نفعل لو بكى ليلا وطلب العودة الى امه ؟
فضحكت فردوس ضحكة ناعمة وقالت :
ـــ تحمله على كتفك وتذهب به الى امه . .
فقال فى فزع :
ـــ اخرج فى برد الليل ؟ والله لو بكى . .
ولم تدعه يتم حديثه بل قالت وهى تضحك :
ـــ اطمئن فلن يبكى ، كانت آخر مرة رايته فيها من تسع سنوات . . بعد زواجنا بسنة . كان لم يذهب الى كتاب القرية بعد ، وقالت لى امه : لما ياخذ الابتدائية سأبعث به اليك فى البندر ليدخل مدرسة الصنائع .

كنت احسبها تمزح فقلت لها مجاملة : سأضعه فى عينى . . ولم تنس ما دار بيننا ، ذكرته فى رسالتها كلمة كلمة كأنما نقش فى راسها .

ورفعت فردوس كرسيا من الخيزران فى يدها ووضعته تحت حلقة تدلت من السقف ، ثم خرجت من الغرفة . . وما لبثت ان عادت تحمل مصباحا كبيرا يأتلق معدنه وتشمخ زجاجته ، ودفعت بالمصباح الى زوجها ووقفت على الكرسى ، ومدت يدها وقالت :
ـــ هات

سئال لها وهو يمد يده بالمصباح
ـــ خذى .. يأخذ عدوك .

وثبت على اطراف اصابعها وهى تضع المصباح فى الحلقة ، فشد جسمها وانحسر الثوب قليلا عن ساقها الممتلئة ، فمد سويلم يده وراح يمررها على ساقها فى حنان ، فرنت اليه فى دلال وقالت فى خبث :

ـــ اقمع .

وضحكت ضحكة طويلة منغمة كلها نداء ، فابتسم سويلم فى مرارة . وقفزت فردوس فى خفة وارتمت فى صدره ، فوضع شفتيه على خدها وطبع قبلة باردة احسست قشعريرتها فى روحها .

وارتفع رنين جرس « كرتة » فاسرعت فردوس الى الشباك ونظرت ، ثم التفتت الى زوجها وقالت :

ـــ عرفة حضر .

وعادت الى زوجها مهرولة ، واخذته من يده وانطلقا لاستقبال الوافد الجديد .

وقفا عند راس السلم يترقبان .. كان سويلم يحس بعض الضيق فقد الف حياته وما كان يحب أن يعتورها التغيير ، اما فردوس فقد كانت تستشعر رغبة فى استكناه طلعة الطفل الذى لم تره منذ تسع سنين .

وراح عرفة يصعد فى الدرج وهو مطرق الراس يعلق فى ذراعه صرة بها ثيابه ، ويحمل فى يده الأخرى حقيبة عتيقة من الجلد الأصفر اسودت اطرافها من العرق . واحس ان هناك من يرقبه عند راس السلم فنظر دون ان يرفع راسه ، فالفى سويلم وفردوس ينتظرانه فخفق قلبه فى شدة واضطراب ، واخذ يصعد متمهلا لعل القلق الذى نزل به يهدأ ولعل انفاسه تنتظم .

وهنا ، نهما ماذا بهما يتطلعان اليه وقد سفرا انواههما ولاح الدهش في أعينهما .. كان فتى مكتمل النمو عريض الكتفين قوى الساعد ، وانشرح صدر فردوس ورنت على شفتيها بسمة عريضة بينما زاد انقباض سويلم ، ولم تفلح الفرحة التى لاحت بين شفتيه في أن تخفى عبوسه .

وسل اليهما وعيناه حائرتان بينهما ، وفتح فمه ليلقى عليهما تحية واكن حبس صوته فارتبك ، فأسرعت فردوس تقول وهى تمد له يدها :

— أهلا وسهلا .. شرفتنا .

والتفتت الى زوجها وقالت ويدها لا تزال قابضة على يد الفتى :

— عمك سويلم .

وأرخت يدها القابضة على يده فمد يده ومال ليقبل يد الشيخ الممدودة لمصافحته ! ولكن الشيخ سحبها بعيدا عن الفم المزموم .

وساروا جميعا ليدخلوا الشقة وقد تباينت مشاعرهم ، فردوس تختلس النظر الى الفتى فى سعادة ، وسويلم يرمقه فى برم ، وهو سائر كالمذهول ينكر نفسه .

ولغوا الغرفة التى أعدت له ، وقالت فردوس وهى تفسح له الطريق :

— تفضل .

وتقدم وحده وجعل يتلفت فى ارتباك ، ووقعت عيناه على الكنبة فاتجه اليه ليضع الصرة والحقيبة فوقه ، والتقت عيون الزوجين فهمست فردوس :

— والله لو بكى فى الليل فلن يحمله على كتفه أحد غيرك .

ورنت فى المكان ضحكتها المتغنجة الزاخرة بالنداء .

— ٢ —

سرى فى سكون الليل صياح ديك واذا بصيحات الديوك تتجاوب من كل مكان ، وتسللت خيوط من لون الرصاص من خصاص الشباك تجاهد لتزحزح الظلام الثقيل الجاثم على انفاس حجرة نوم الزوجين ، وهتك الصمت وقع اقدام فى الطريق واصوات عجلات عربة مقبلة من بعيد .

وراحت الخيوط الرصاصية تتحول الى خيوط من الفضة ، فبدت أعمدة السرير النحاسية الصفراء الشـــامخة كأعمـــدة من الابريز ، وتقلب سويلم فى الفراش وتمطى ، ثم ازاح الغطاء عنه ونهض ليذهب الى دورة المياه يتوضأ .

والقى نظرة على فردوس النائمة الى جواره فالفى ساقاها قد تعرت ، فمد يده وسحب الغطاء فوقها وستار وما ان غادر الغرفة حتى دفعت فردوس الغطاء عنها بقدمها ورفعت ساقيها الى أعلى فانحسرت ثيابها عن فخذيها ، ودارت فى السرير نصف دورة ، وبحركة رشيقة كانت متنصبة على قدميها ، وانطلقت الى غرفة عرفة وفتحت الباب فالفت عرفة جالسا على الاريكة التى أعدت لنومه ، فقالت له :

ـــ يسعد صباحك .

ـــ يسعد صباحك .

وتناولت من خلف الباب قصبة من الغاب مجوفة ، وتقدمت

حتى وقفت تحت المصباح ووضعت طرف القصبة فى الفتحة المجوفة بقعر المصباح ونفخت فى القصبة ، فانطفأ النور الخافت الذى كان يتراقص كأنما يترنح قبل أن يلفظ انفاسه .

وذهبت الى الكرسى الخيزران ، وفطن عرفة الى ما ستفعله فقد رآها مرارا تقوم به ، فكان أسرع منها الى الكرسى وحمله بيده ووضعه تحت المصباح ، ثم وقف فوقه ليتناول المصباح من الحلقة المدلاة من السقف . ودنت فردوس منه ورفعت رأسها ترمقه وفى عينيها عبطة وفى صدرها نشوة ؛ باتت تستشعر مشاعر جديدة مذ جاء الى البيت . . تدسست فى روحها يقظة بعد طول هجوع . . كادت الشيخوخة المبكرة تنجح فى اسدال استرة كثيفة على قلبها الشاب ، فاذا بوفوده يهتك الأستار ويجعل القلب يرفرف فى انطلاق . وكادت كنوز قلبها تفور واذا به يفجر المكنون فتتفتح مهجتها تفتح الزهر للندى ، وترف احاسيسها رقة انفاس السحر ، ويترقرق فى جوفها حنان دفاق ، وتدب فى أوصالها حياة حلوة عذبة لها طعم حبيب مشتهى لم تذقه من قبل . . مذ عرفت كيف تتذوق الحياة .

حرمت الأمومة سنوات فكبتت احاسيسها الرقيقة ، فلما جاء وجدت مشاعرها المذخورة المكنونة منفسا . آه لو كان اصغر قليلا مما هو لأجلسته على فخذها وضمته الى صدرها وجعلت تعبث بأصابعها فى شعره ، ولفتت تلثمه دون حرج هنا وهناك .

وهبط عرفة والمصباح فى يده ، وتحرك لينطلق به الى المطبخ يمرر بالحاز فاعترضت طريقه ، ومدت يدها تتناول منه المصباح وعيناها على شفتيه تراودها فكرة ان تتقدم خطوة وتقبله ، ولكنها وأدت وسوسة النفس واخذت عيناها تطرفان فى اضطراب على الرغم من البسمة التى رقمت على شفتيها .

وثارت على عقبيها وانصرفت وقلبها يخفق فى حنان . وقد انتشرت فى جوفها رهبة لذيذة لها نشوة استكانت لها واخذت تغذيها بالافكار ، راحت تجتر ذكريات يوم الجمعة . عرفة فى غرفته لم يغادرها ولكنها تلمحه فى غدوها ورواحها .. سويلم فى البيت ممددا على كنبة فى استرخاء . موعد صلاة الجمعة يقترب .. الزوج يطلب منها أن تعد الحمام .. موقد الجاز يطن .. البخار يتصاعد من الصفيحة الموضوعة فوق الموقد .. الزوج يدخل الحمام وعلى كتفه بشكير ابيض .. ترتفع طرقات الزوج على باب الحمام .. تفتح الباب فى حرص لتدخل مسرعة قبل أن يدخل الهواء البارد .. تلتقى عيناها بعينى عرفة وهى تنسل الى الحمام .. يغض عرفه من بصره حياء .. يشرق وجهها بالابتسام .

انها تدلك ظهر الشيخ المغرور باللياقة والصابون فى شدة ،

انتقلت الحياة المتدفقة فى جوفها الى ساعدها فتاوه الرجل وصاح فيها ان ترفق به ، ولكنها ظلت تدلكه فى حرارة فأمرها أن تكف قبل أن تدق عظامه . وضحكت ضحكتها المنغمة الزاخرة بالنداء ، وخرجت واثر الصابون فى يديها فأخذت تجففهما وهى ترنو الى عرفة منتشية .

وذهب الزوج لصلاة الجمعة ، وذهبت الى عرفة تدعوه للاستحمام ، وأغلق باب الحمام خلفه وانطلقت ببعض شأنها .. ولكن سرعان ما وجدت نفسها منجذبة الى الحمام ، وظلت تغدو وتروح امامه وانفاسها تتلاحق . نبتت فى اغوارها مشاعر كثيرة متباينة لا تدرى كنهها ، كانت مزيجا من الامومة والرغبة والرهبة والاشتهاء ، ومس اذنيها صوت ارتطام الكوز بالصفيحة فجفلت مفزوعة ، ولكن ما لبثت أن عادت صامدة هابطة أمام باب الحمام .

آه لو كان أصغر قليلا لفتحت الباب ودخلت تغسل له رأسه وصدره وذراعيه وفخذيه وساقيه وقدميه ، وتصب عليه الماء صبا .. انها لا تذكر إنها قامت بغسل جسم غلام وانها تحس الساعة انها حرمت من لذة .

وهمس في صدرها هامس يسألها عما تفعله اذا دق الباب وطلب منها ان تدلك له ظهره ، ولم تجب عن السؤال ولكن سرت في جسمها مشاعر لذيذة مغلفة بغشاء رقيق من الخشية .

وتحركت أكرة باب الحمام فهرولت مبتعدة كأنما خشيت ان يراها قريبة من الباب فيفطن الى ما دار في خلدها ، وخرج يرتدي جلبابا مخططا مفتوح الصدر فقالت له :

ـــ نعيما .

ـــ انعم الله عليك .

واعترضت طريقه ، ومدت يدها تزرر له الأزرار المفتوحة وهي تقول :

ـــ زرر صدرك الدنيا برد .. وانت خارج من الحمام .

وامحت انفاسه الحارة وجهها فتلكأت في عملها تنعم بالخدر اللذيذ الذي سرى في كيانها ، ولمحت قطرة ماء على جبينه فمسحتها بكفها في حنان .

واستأنف سيره الى غرفته وذهبت الى الحمام تغسل له ثيابه ، كان الغسيل بغيضا الى نفسها ، ولكنها لم تستشعر ذلك الضيق الذي كانت تحسه كلما جلست الى طست الغسيل ، بل كانت تغني في نشوة .

وافاقت من الأحلام اللذيذة الدائرة في رأسها على وقع اقدام خلفها ، فالتفتت فوجدت عرفة مقبلا ، فرمقته في استفسار فقال لهـــا :

ـــ اساعدك ؟
ـــ لا . . استرح انت .

★ ★ ★

وفي الصباح رآها واقفة في المطبخ امام موقد الغاز فقال لها :
ـــ ماذا تفعلين ؟
ـــ انى اعد الافطار .
فذهب ووضع الطبلية ، وعاد الى المطبخ يحمل ما اعدته .

وتحلقوا الطبلية ، فردوس وسويلم قد جلسا جنبا الى جنب وجلس عرفة امامهما ، واخذو يتناولون طعامهم وهم يتحدثون احاديث شتى لا ينتظمها سلك ولا يربط بينها رابط .

وتحركت فردوس لتريح رجلها فانحسر ثوبها عن فخذها ، ووقعت عينا عرفة على الفخذ العارية فادام النظر ، ولمح الشيخ اتجاه العيون الخائنة فلكز فردوس بمرفقه وقال بصوت فيه رنة غضب :
ـــ غطى رجلك .

وارتبك عرفة واسبل عينيه ، ودق قلبه في شدة وتدفقت دماء الخجل في وجهه فاحمر ، ومد يدا متخاذلة الى الطعام واعادها الى فمه ، ولكنه لم يسغ ما يأكله فجعل يلوكه في فتور .

واحست فردوس ما يكابده الفتى فاشفقت عليه وضاقت بما فعل زوجها ، وهمت بأن تقول شيئا ترفه به عن عرفة ولكنها خشيت أن تفتح بابا قد يؤدى الى جرح شعوره فلاذت بالصمت .
وبعد عرفة عن الطبلية فقالت له فردوس :
ـــ كل .
ـــ الحمد لله .
ونهض ليحمل كتبه ويتسلل الى مدرسته .

— ٣ —

دق جرس المدرسة ايذانا بالانصراف ، فخف التلاميذ الى ملعب الكرة من كل فج واصواتهم عالية وضحكاتهم مجلجلة ، فقد ذهبوا ليشاهدوا المبارة التى ستقام بين فريق مدرستهم وفريق المدرسة الثانوية .

وتسلل عرفة من رفاقه وانسحب مسرعا صوب الباب ، وقابله احد زملائه وهو يحمل بوق فونوغراف يهتف فيه مشجعا مدرسته ومحييا اللاعبين الاصدقاء ، وخلفه ثلة من التلاميذ يتصايحون ، فرفت على شفتى عرفة بسمة ، وانطلق فى طريقه دون ان يلوى عنقه ، فقد اصبح يتعجل ساعات الدراسة ليعود الى البيت . بات يجد سعادة غامرة فى التحديث الى فردوس والاصغاء اليها ومشاركتها فيما تفعل ، والتمتع بدعاباتها .

ووضع المثلث الكبير وبعض ادواته تحت ابطه وراح يضرب فى الطريق المنساب بين الحقول .. وقد خلف وراءه اشجار الجازورين العالية التى تحد مدرسته ، وامتدت على جانبى الطريق خضرة نباتات الوانها واشكالها وثمارها ، الخبيزة كأنها دوائر من مخمل أخضر ، واوراق الترمس كأنها من رسم فنان سريالى لا تماثل فيها ولا تجانس ، والطماطم كأنها جواهر انسدلت عليها اوشحة خضراء تخفيها عن العيون .

وبلغ طريق المدينة المرصوف فضرب الارض بقدمه فى قوة مرات متتابعات ليزيل الغبار العالق بحذائه ، ثم استانف سيره ووسع من خطوه ، وجعل يتملى فى اهتمام العربات « والكارتات » والدراجات التى تحمل على جانبيها اقساط اللبن ، القادمة من اليمين ومن اليسار على السواء .

ودلف الى حارة جانبية ليتجنب المرور على مغلق خشب الشيخ سويلم ، فقد مر عليه مرة وحياه فأبقاه معه حتى عادا الى البيت معا بعد صلاة المغرب ، ومن ذلك اليوم تحاشى أن يمر عليه عند عودته حتى لا يحرم من الذ ساعات النهار .

وبلغ الدار وصعد فى الدرج وثب ، ونقر الباب بأصبعه نقرات خفيفة فأسرعت فردوس وفتحته ، ولما وقعت عيناها عليه قالت :

ـ اهلا بالباشمهندس .

ومدت يدها تحمل المثلث الكبير والادوات الموضوعة تحت ابطه ، ومسارا جنبا الى جنب الى غرفته يلمس كتفها كتفه مرة ، ويحتك ذراعه بذراعها مرات ، وتتألق العيون ببريق اخاذ .

ووضعت المثلث والادوات على الكنسول ، ولمحت لوحة بيضاء عليها خطوط رسمت بحبر أسود فتفرست فى الرسم برهة دون ان تفهم شيئا ، فقالت وهى تتطلع الى صورة عرفة المنعكسة فى المرآة :

ـ ما هذا ؟

فقال وهو يدنو منها :

ـ رسم لعمل ابريق .

ووقف خلفها واخذ يتطلع الى الرسم من فوق كتفها وهى تعاود النظر لعلها ترى ابريقا ، ولكنها لم تر الا دائرة وخطوطا ، فرفعت راسها وقالت وهى تنظر الى المرآة :

ـــ أين الابريق ؟

ممد ذراعه من خلفها وجعل يمرر اصبعه على الخطوط وهو يقول في اعتداد الأستاذ :

ـــ هذه دائرة قاع الابريق ، واذا قص هذا الخط وهذا الخط وقرطسنا الورقة ولصقنا هذا الطرف بذلك الطرف تكون جسم الابريق .

ـــ وما هذه الخطوط ؟

ـــ زخرفة في الابريق .

فقالت وهي ترنو اليه بطرف عينها :

ـــ « أبريق الحنبلي كل ما يفرغ يمتلي » .

وضحكت ضحكتها المنغمة الزاخرة بالنداء ، ورنت اليه رنوة طويلة وابتسمت بسمة خبيثة ، ومالت قليلا في دلال حتى مس ظهرها صدره فأحس خدرا لذيذا ، والدماء الحارة تتدفق في عروقه وتعهد خدية .

ودارت في خفة دورة كاملة فأصبح صدرها أمام صدره . وقالت وهي تعبث في أزرار قميصه :

ـــ هل بعثت بك أمك الى هنا لتصبح سمكريا ؟

وتعلقت عيناها بشفتيه ، لم تكن تنتظر جوابا بل كانت نفسها تغريها أن تلف ذراعيها حوله وأن تضمه اليها وأن تضع شفتيها على شفتيه ، وقال في صوت مضطرب تخنقه انفعالاته :

ـــ هذه تمرينات . . نبدأ بالبسيط ثم نتدرج ، اننا ندرس هندسة السيارات في السنة الأخيرة .

ظلت عواطفها الثائرة تعربد في أغوارها فمدت يدها وربتت على خده ، ثم انصرفت مسرعة لتفر بنفسها من نفسها .

وراح عرفة يخلع ثياب المدرسة وارتدى جلبابه المخطط ، وجلس على حافة الاريكة ومد يده وتناول كتابا وفتحه ، وحاول ان يقرأ فيه ولكنه كان شارد اللب يحس رغبة فى أن يذهب الى فرنسوس يعاونها فيما تفعله ويسعد بقربها .

ويحمل الكتاب جانبا وقام ليذهب الى المطبخ فقد وصل الى سمعه طنين موقد الغاز وفطن الى انها بدأت فى الطبخ ، ووقف بجسمه يسند باب المطبخ ونظر فالفاها تنتقى الارز فى غطاء الحلة ، فقال لها :

ـــ وانا ماذا افعل ؟

فقالت دون ان ترفع راسها :

ـــ تقشر البصل وخرطه .

وتحرك ، وقبل أن يصل الى البصل قالت له :

ـــ تقلب الحلة .

فاتجه الى الحلة الموضوعة على النار وراح يقلب الخبيزة فى الماء المغلى ، واستمر فى التقليب حتى امرته ان يكف .

وراح يقشر البصل وهو يبعد وجهه عنه ، ولكن رائحته النفاذة تسللت الى خياشيمه وحركت دموعه ، ولمحته وهى تتجه الى الحلة الموضوعة على النار فابتسمت .

وقلبت الحلة فى مصفاة تحتها وعاء ، واخذت تدلك الخبيزة بيدها لتصفيها وهى تنظر اليه ، وبدأ فى تخريط البصل فسالت الدموع غزيرة من عينيه ، فضحكت ضحكتها المدودة الناعمة وقالت :

ـــ دع البصل وتعال صف الخبيزة .

فقال فى مكابرة :

ـــ سأنتهي من البصل وأصفي الخبيزة .

ومدت يدها النظيفة تجفف له دموعه بطرف جلبابه .

وانتهى من تخريط البصل فمد يده يدلك الخبيزة معها في المصفاة ، وارتطمت يده بيدها أكثر من مرة ، والتصق رأسه برأسها واختلطت الأنفاس وساد صمت قلق ، كان كل منهما ينعم بمشاعره ويقاوم الثورة المتأججة في نفسه ، ويخشى أن يرفع رأسه حتى لا تفضح العيون ما تطويه الجوانح .

ومر الوقت دون أن ينبس أحدهما بكلمة ، هي تتظاهر بالانشغال بالحلة الموضوعة على النار وهو الى جوارها يتطلع الى ما تفعل كأنما يريد أن يعي درسا ، كانت عيناه تتسللان من جيب صدرها ليكشفا سره .

وقال عرفة وقد أشرق وجهه :

ـــ عرفت كيف تطبخ الخبيزة .

تثاقلت فردوس وهي تدير رأسها وتنظر في عينيه :

ـــ ستصبح باشطباخ قبل أن تصبح باشمهندس .

وضحكت ولكزته بمرفقها في صدره في خفة ، فابتسم وتقدم خطوة وفي جوفه اغراء بأن يضع يده على كتفها .

وانتحت محبس موقد الجاز فخبت النار حتى خمدت ، ولكن النار التي كانت ترعى في أحشائها ظلت تتلظى ، وتحركت ووضعت جردلا تحت الصنبور وراحت تملؤه ماء فراح عرفة يشمر عن ساعديه ، فقالت له :

ـــ ماذا ستفعل ؟

ـــ سأمسح الشقة .

ـــ لا ، اذهب وذاكر .

ـــ والله لن يمسحها اليوم احد غيرى .

ومد يده وحمل الجردل ، وقبل أن يتحرك قالت له :

ـــ انتظر . ارفع جلبابك حتى لا يبتل .

وقبل أن يضع الجردل على الأرض مالت وتناولت طرف جلباب ورفعته وراحت تشده فى قوة حول وسطه وتثبت بعضه فى بعض ، فصار الجلباب من تحت وسطه طبقتين ، وتعرت ساقاه ولاح فيهما زغب خفيف من الشعر .

وانثنى وبين يديه خيشة المسح ، واخذ يمررها على البلاط فى سرعة وهو ينتهقر ، وكاد يرتطم بفردوس فضربته بكفها على كفله وقالت :

ـــ حاذر .

ونظر اليها من بين ساقيه المفتوحتين وابتسم ، فضحكت فردوس ضحكة طليقة مرحة جلجلت فى المكان حتى غطت على صوت المفتاح الذى دار فى باب الشقة الخارجى .

وسكت ضحكتها مسامع الشيخ سنويلم فتقدم على اطراف اصابعه ونظر ، فالفى عرفة منهمكا فى المسح وزوجته قد علقت طرف ثوبها بأصبعها حتى لا يبتل ، وراحت تقول :

ـــ عرفة ! كفى وسطك انحل .

وانحنى الشيخ فدارت فردوس بنصفها الاعلى ونظرت ، وظل عرفة قابضا على الخيشة وان ، اخ ينظر من طرف عينه ، وقالت فردوس :

ـــ بسم الله الرحمن الرحيم ـ مهـــ خلت ؟

فقال الشيخ سنويلم وهو سائر فى طريقه الى غرفته :

ـــ من الباب .

ورمى عرفة بنظرة نمت عن ضيقه ، وزاد فى مرارته لما راى

ساعدى الفتى المفتولتين . كان ينفس عليه شبابه ويغار من فتوته فى اغيراره ، وان لم يكن يعى حقيقة مشاعره ، ودخل غرفتـــه وفردوس خلفه ، واحس رغبة فى تقريعها ولكنه كبح عواطفه .. خشى ان يستسلم لثورته فيبالغ فى ايلامها وهو لا يحب أن يمزق قلبها ، فهو يهواها ويهيم بها حبا على الرغم مما يبدو منها من رعونة أحيانا .

ووطن النفس على الصمت حتى تهدأ نفسه ويخبـــو شره ويختلى بها فى الليل ، فيفضى اليها بما يريد أن يقـــوله وهـــو يداعبها .

ومدت فردوس يدها تعاونه على خلع ثيابه وقالت :

ـــ أحضر العشاء ؟ الخبيزة ساخنة .

ـــ هيا .

وخرجت وبقى وحده يفكر ، وراح يمرر يده على جبهته ليمسح المشاهد البغيضة المتنافرة التى نبتت واختلطت فى رأسه .. عرفة وهو يختلس النظر الى فخذ زوجته العارية .. وبائعات الهوى جالسات أمام حوانيتهن ، فقد كان لفظ « الخبيزة » الذى كان يطلق على حيهن كفيلا باثارة الحى فى ذهنه نابضا بالحياة وان كان قد اندثر من سنين بعيدة .

وتململ وراح يغدو ويروح فى قلق ، وارتفع صوت فردوس يدعوه للعشاء :

ـــ تفضل .

وانطلق مهرولا ليفر ، وجلس الى الطبلية وهو يمد يده الى طبق الخبيزة ، ولكنه توقف قليلا وتفرس فى وجه عرفة ثم التفت الى زوجه ، فلما تيقن من أن فخذها ليست عارية بدأ يأكل .

وانتهوا من طعامهم ، وانسل عرفة الى غرفته ليســـتذكر

دروسه ، واغلق الزوجان باب غرفتهما عليهما .

تمددا في السرير ، واحكم سويلم الغطاء عليه وشرد ببصره قليلا ثم قال :

ـــ انى افكر فى عرفة ، لماذا يتجشم اهله ارساله الى المدرسة ؟ لماذا يحرمون انفسهم من معاونته ؟

فقالت فردوس فى حماسة :

ـــ ليضمنوا له مستقبلا افضل . بعض سنوات من الصبر تزيد ائدته .

ـــ انهم سيخسرونه الى الابد .. لو ابقوه معهم وزوجوه لضمنوا نفعه .

فقالت فردوس فى انكار :

ـــ عرفة يتزوج ؟ ! انه لا يزال طفلا .

فقال سويلم وقد لوى شفته السفلى :

ـــ تزوجت اول ما تزوجت فى مثل سنه .

فقالت فردوس فى سخرية :

ـــ ولماذا كانت العجلة ؟

ولم ينطق الى سخريتها ، وشرد يجتر ذكريات شبابه فى نشوة ، (وقد آثر أن يطوى حقده على عرفة بين جوانحه) بينما رن صوت فردوس فى أعماقها وان لم تتحرك شفتاها يقول :

ـــ يا وكسه ! اخذتك لحما وتركتك لى عظما ، مسكتك مصا وجئتنى جافا ، آه لو تزوجتنى وانت فى الخامسة عشرة !

وبدفقت دماؤها الحارة فى عروقها واشتعلت النار فى جسدها ، فوضعت شفتيها الملتهبتين على شفتيه ولكنهما كانتا كجثة هامدة .

— ٤ —

عاد فى العصر مسرعا كعادته ليعاون فردوس ويعيش معها أسعد لحظات يومه ، وراح ينقر الباب بأصبعه نقرا خفيفا ، ولم تخف فردوس كعادتها بل ظل الباب موصدا مدة ، ومس اذنيه صوت هرولتها فى قدومها فتأهبت حواسه لاستقبالها .. خفقان لذيذ فى القلب ، نشوة مدغدغة فى الصدر ، بريق خاطف فى العين ، لسان رطب يمر على الشفتين .

وفتح الباب ولم تنبس فردوس بكلمة ، كان جبينهـــا يلمع وحاجباها مزججين ، وخدها متوردا من اثر النتف ، وكانت يدها خلف ظهرها تخفى شيئا ، ففطن الى ان الحلوى لا تزال بين أصابعها ، فرفت على شفتيه بسمة وزاد تألق عينيه ، ورنت اليه فردوس رنوة كلها خبث ، ثم هرولت الى غرفتها ووارت بابها .

ودخل غرفته ووضع كتبه وخلع ثيابه ، وجلس على الاريكة ، ولكنه لم يستطع ان يستقر فنهض وسار حتى دنا من غرفتها ، ومد بصره محاولا ن يرى ما يجرى هناك من فرجة الباب وهو يستشعر قلقا مشتهى ، ورغبة جامحة ، ومشاعر رقراقة تعربد بى جوانحه . كان يعرف حقيقة ما يجرى خلف الباب ، فقد كان وهو غلام يرقب ما تفعله النسوة بالحلوى فى اهتمام ، حتى ان كل تفاصيل العملية حفرت فى ذهنه .

وعجز عن أن يكشف شيئا ، ولكنه راى بعين خياله فردوس وهى شبه عارية ، وقد اضطجعت وراحت تزيل الشعر من كل مكان ينبت فيه من جسمها ، فتدفقت الدماء حارة فى عروقه ، وراودته افكار ثائرة راحت تحرضه على أن يقتحم الباب وان يطفىء النار المشبوبة فى احشائه ، ولكنه كبح جماح نفسه جاهدا وعاد الى غرفته وهو فى شدة الانفعال ، والقى بجسمه على الاريكة واخذ ينظر الى عروق السقف وهو ساهم ، وشرد بذهنه فاذا به يجد نفسه وهو غلام لا يتجاوز السادسة من عمره يلعب فى القاعة الى جوار امه ، وفاطمة جارتهم الشابة المخطوبة التى تنتظر انتهاء موسم القطن لتزف الى زوجها تقبل وتقول انها وحدها وقد ضاقت بوحدتها ، وتلتمس من امه أن تسمح له بالبقاء معها لمؤانستها حتى يقبل احد من اهلها الذين ذهبوا الى الغيط .

ورأى امه وهى تطلب منه أن يذهب فى نبرات راضية ، كانت سعيدة بذهابه لتتخلص من شقاوته او لتبعده حتى تستطيع ان تفعل فى حرية ما تتحرج من أن تفعله امامه ، ورأى نفسه وهو ينهض متثاقلا فهو يحب أن يكون الى جوار امه دواما لا يفارقها .

واخذته فاطمة من يده وهى تداعبه ، واتجها الى دارها التى تبعد عن دارهم بضع خطوات ، ودخلا الى القاعة واغلقت فاطمة الباب خلفها ، وسارت به حتى اوغلت فى القاعة ثم جلست فى الظلام وجذبته من يده وضمته الى صدرها وراحت تقبله .

فطن على الرغم من صغره الى ان قبلاتها تختلف عن قبلات امه ، فقبلاتها حارة وانفاسها التى ترتطم برجهه اكثر دفئا وسرعة ، وصدرها فى ارتفاع وانخفاض ، ويدها تضغط عليه فى قوة وانفعال .

وطلبت منه أن يلف ذراعيه حولها وأن يضمها ففعل ، واستشعر احساسا غريبا لما التصق صدره الضخم بصدرها المتلىء ، وسكنت الراحة فى فؤاده فاستكان لها وتركها تفعل به ما تشاء ، وهو سعيد غاية السعادة بما تفعل .

وأستلقت على الأرض وذراعيها حوله ، وجعلت تأتى أفعالا لم يشهدها من قبل ، وهو يتلقى كل ما تفعل مفتوح الاحساس ، يكتسب تجارب جديدة قبل الأوان .. واستمر لحظات يحس احساس النائم الذى يعيش فى رؤيا بهيجة .

وراح الوقت يمر وهو بين يديها ، يلبى رغباتها دون أن يجفل أو تمشى فى أوصاله رعدة .. كان سعيدا بالدنيا الجديدة التى تتهتك أستارها أمام عينيه المبهورتين .

وتركته بعد أن عرف أشياء لا يعرفها أغلب شباب القرية الا ليلة الزفاف .

وصار يتردد عليها فى كل وقت تخلو فيه دارها من أهلها ، وما أكثر ما كانوا يتركونها وحدها ، وكان يمضى أغلب الوقت معها فى دعابة ولعب وعناق ، وأصبح يتبعها ككلب أمين لا يفارقها .

وكرت الأيام وهو سعيد بالعوالم الجديدة التى راح يجوس خلالها ، وجاء يوم زفافها فحملوها الى دار زوجها وهو واقف ينظر ، يحس احساس الطفل المدلل الذى سلبوه دميته .

وغابت فاطمة من حياته ، ونسيها ولكنه لم ينس الدرس الذى لقنته ، فصارت لعبة (العروسة والعريس) هى اللعبة المفضلة عنده ، راح يجمع غلمان القرية الذين فى مثل سنه ويجمع الفتيات الصغار ويخطب من بينهن عروسا لنفسه ، ثم يقوم الأولاد بالطبل والزمر والرقص واطلاق الزغاريد بينما يأخذ هو عروسه ويختلى

بها فى ركن من بيت أو مكان مهجور ، ويأخذ فى ممارسة ما علمته فاطمة .

وراح يستعرض فى ذهنه فتيات القرية اللاتى لعب معهن لعبته المفضلة ، كن فتيات صغيرات غريرات بين يدى خبير مجرب ، وان لم يتجاوز السادسة .

وقفز بذهنه السنين ليفر من صور الصغيرات اللاتى لم تعد صورهن تثير فى نفسه شهوة ، ورأى حقلا ممتدا يبدو فى ضوء القمر كأنما اريق على نباته ذوب من الفضة ، وهو يلعب فيه مع بعض الرفاق من الأولاد والبنات « الاستغماية » . كان على اعتاب الثانية عشرة وكان يتعمد أن يختفى مع فتاة نامية فى الجرن أو خلف الساقية ، وكان يطول اختفاؤهما ، يحاول أن يجر الفتاة الى ما كان يجر اليه الصغيرات الغريرات ولكنه يخفق فيكتفى بالضم والقبل .

وسرعان ما تزوجت الفتاة ، وقابلها بعد زواجها فى خلوة فأسرع اليها يقبلها ، فقالت له وهى ترنو اليه من طرف عينيها :

ـــ اننا لا نقبل الآن .

وحسب يومها أنها تحذره من الاقتراب منها ، ولم يفطن الا الساعة وهو يتململ فى الأريكة ، الى انها كانت تدعوه الى ما يشتهيه ، فيدير وجهه ويمد بصره الى الباب الذى يخفى خلفه فردوس شبه عارية .

ونهض متوتر الأعصاب مرهف الاحساس ، تجرى الدماء الحارة فى عروقه وتهجس فى نفسه هواجس تستبد به وتدفعه دفعا الى حيث تختفى فردوس ، فيسير مسلوب الارادة حتى

اذا ما دنا من الباب يستيقظ فجأة ، ويشتد وجيب قلبه وتسمره رهبة عارمة فى مكانه ، ويتلفت حوله وهو زائغ البصر .

ومس اذنيه صوت مفتاح يدور فى الباب فانخلع قلبه وطارت نفسه شعاعا ، وفر مرعوبا الى غرفته وهو يزفر فى صوت مسموع ، فزاد اضطرابه خشية أن يصل زفيره الى مسامع الشيخ القادم فيفطن الى مشاعره الخبيثة التى تطفح بها نفسه .

ودخل الشيخ سويلم وهو يتلفت فى ريبة ، فلما وقعت عيناه على عرفة والقاه فى غرفته وحده ثلج صدره ، وسار الى غرفته وهو يضرب الأرض بقدميه ويتنحنح ليوهم فردوس انه على عهده لم تثبت فى نفسه بذور الشك ، وانه سليم القلب نقى السريرة .

ودخل الشيخ غرفته ، واشراب عرفة بعنقه ليرى بعينيه ما رآه بخياله ، ولكن الشيخ اوصد الباب خلفه فى رفق ، ومرت لحظات انطلقت بعدها ضحكة فردوس المنغمة الطويلة الزاخرة بالنداء ، فارهفت حواس عرفة جميعا ، واستيقظت فتوته فراح يغدو ويروح فى الغرفة وقد اتسعت عيناه ، يبلل شفتيه بلسانه .

وخرج الشيخ من الغرفة مسرعا وفردوس تشيعه بضحكاتها ، وذهب الى حيث كان عرفة فاذا بجميع مشاعر عرفة تموت فجأة ، ولم يبق الا نبض يتردد برهبة خفيفة ، تركت اثرا فى العيون المفتوحة .

واخذ الشيخ يجاذب الفتى الحديث فى ود يسأله عن المدرسة وعما يفعله فيها ، وعرفة يرد ردودا مقتضبة وهو مطرق . وتحدث الشيخ طويلا ورفع عرفة عينيه ينظر اليه فوقع بصره على خيط رفيع من الحلوى على خده ، فتيقن أن فردوس كانت تداعبه بالحلوى

نفر منها ، وهمت بسمة بأن تولد فى قلبه واذا بفول الغيرة يتحرك ويبتلع البسمة ويأخذ فى نهش جوفه ، فيطأطىء رأسه اسفا وتنتشر مرارة نفسه حتى يكاد يتذوقها بفمه .

وخرجت فردوس من غرفتها وانطلقت الى المطبخ ، وظلت فى غدو ورواح لا يجرؤ عرفة على أن يخف اليها يعاونها وان كان يشتهى ذلك فى اعماقه ، ولا يلوى الشيخ عنقه ليراها خشية أن تلتقى عيناه بعينيها فيضحك برغمه ، وهو لا يحب أن يظهر أمام الصبى عابثا .

كان الشيخ يحب فردوس من كل قلبه ويتمنى أن يشبع كل رغباتها ، ولكنه كان على ثقة من انه ليس كفئا لها ، فبينهما هوة من السنين سحيقة تعيب علاقاتهما بالفتور ، لذلك كان يسرف فى العطف والخضوع ويتحمل نزواتها راضيا لعل ذلك كله يعوض ما لا يملكه .

وجاءت فردوس ووقفت عند الباب وقالت :

ـــ تفضلا .

وتحرك الشيخ والشاب خلفه ، ومر الشيخ بفردوس وهو يغض من بصره ويكتم بسمة ولدت طلائعها على شفتيه ، ومر عرفة بها وراح يتفرس فى وجهها الذى اشتدت حمرته من اثر الحلوى فاذا بمشاعره تتيقظ ، وبقلق شهى يتحرك فى جوفه ، وبرغبة عارمة تمور بين جوانحه وتسرى فى بدنه رعدة محمومة ، فقد ارتبطت الحلوى فى ذهنه بتصورات تثير شهواته .

وجلسوا حول الطبلية وقد اسبل كل منهم عينيه .. لم يكن

أحدهم ليقدر ان تلتقى عيناه بعيون الآخرين ففى راس كل منهم فكرة يحرص على ان تظل سرا مكنونا .

وراح عرفة يأكل فى فتور ، وسرعان ما غادر الطبلية وانطلق الى غرفته وفتح كتابا واخذ يقرأ فيه ، ولكنه لم يفقه مما يقرأ شيئا . . كان مشغولا عن كل ما حوله بالافكار المعربدة فى رأسه .

ودخل الزوجان غرفتهما واوصدا بابها ، فنحى عرفة الكتاب والقى به على الكنبول وتمدد فى فراشه وارخى لخياله عنانه ، فرأى نفسه فى الدار فى القرية وقد نام مع امه وابيه واخوته فى غرفة واحدة . كان يغمض عينيه وينام ملء جفنيه قبل ان يعرف فاطمة ، ولكنه بعد أن عرفها وعرف ما بين الرجل والمراة كان يتظاهر بالنوم ويحاول ان يظل صاحيا ليرى ما يفعل والداه ، ولكن ظلام الغرفة كان ثقيلا وكان النوم يغلبه قبل أن يحس شيئا .

وراح يتململ فى فراشه وصورة فاطمة حاضرة فى ذهنه ، يتمثل ما كانا يفعلان فيزداد انفعاله وتزداد ثورة نفسه ، ومر الليل فى تصورات ولم ينم الا غرارا .

— ٥ —

كان الليل يرخى استاره ، والهدوء شاملا لا يعكره الا نقيق الضفادع ونباح كلب بعيد ، ونسيم الربيع يحمل اريج الحقول .. وراحت فردوس تتقلب فى الفراش وتغطى وجهها بذراعها وهى مسبلة جفونها .. كانت تخشى أن تفتحهما فيفر النوم من عينيها .

واخذت مشاعر الحب والحنين تنبثق فى اغوارها واندلعت نار الصبابة فى حناياها ، واستشعرت رغبة مستبدة تمور بين ضلوعها فتقلبت على جنبها بحيث اصبح وجهها ناحية الشيخ الذى كان يغط فى نومه ، ولفت ذراعها حوله وضمته فى قوة لتسكت الصراخ المنبعث من كل مشاعرها ، وظل الشيخ فى سباته لا يحس النار المتأججة فى الجسد الصادى الذى يهفو الى اطفاء الظمأ .

ومكرت فى أن تهز سويلم وأن تتعمد أن ترتطم به فى تقلبها حتى يطير النوم من عينيه ، ولكنها وأدت الفكرة بعد أن ضاقت بها .. كانت واثقة انه حتى لو استيقظ واستجاب لدعاباتها فلن يهدىء عواطفها المشبوبة ، بل سيزيد اوارها ويزيد فى ضيقها .

وراحت تزفر حمم صدرها وتحاول ان تغرى النوم ليداعب جفنيها ، ولكن احساساتها المتوترة كانت تطرد الكرى ، وتجلب الى ذهنها اخيلة توقظ مشاعرها وتثير وجدها .

وسرى فى الجو مواء قطة ، وراح المواء يتردد ويمتد حتى صار اشبه بالانين . كان مشحونا بدعوة صارخة للجنس ، فازدادت مشاعر فردوس ارهافا وتضخمت رغباتها حتى ملأت جوانحها ، واحست كأن ابخرة من الاشتهاء تضغط صدرها حتى تكاد تكتم

انفاسها فلم تستطع أن تظل راقدة ، بل جلست فى سريرها مبهورة النفس .

وراحت تتلفت حولها فالفت الكون كله يستشعر اقبال الربيع الا ذلك الجسد الفانى الملقى الى جوارها تتردد فيه الانفاس كما تتردد فى منفاخ ، فضاقت به وتحركت فى أعماقها مشاعر البغض والكراهية .

وولدت فى راسها فكرة ان تذهب الى غرفة عرفة تصلح وضع الغطاء عليه ، لعل حركتها تقتل ثورة عواطفها . واستراحت للفكرة فنحت الغطاء عنها وهبطت من السرير فى خفة ، ووقفت تصلح ثوبها ثم سارت على أطراف أصابعها حتى لا يستيقظ زوجها .

وخفق قلبها بين جوانحها وانتشرت مشاعر من القلق اللذيذ فى حناياها ، وانطلقت مسحورة تقودها عواطفها فقد صار راسها هواء . ودلفت الى الغرفة الغارقة فى الصمت التى لا يقوى على تبديد ظلامها الفور الخافت المنبعث من المصباح المعلق فى المطبخ ، فطافت بها احساسات غاية فى الرقة ما كان يعكرها الا ذلك الخوف الواهن الذى لا تدرى له سببا .

وتقدمت كالطيف الى حيث يرقد عرفة ووقفت تنظر اليه وقد سرت فيها رعدة ، وجعلت تتطلع الى وجهه طويلا ومشاعر كثيرة تتفجر فى جوفها وافكار غير واضحة بدأت تبذر بذورها فى راسها .

ووقعت عيناها على الغطاء الملقى على الارض فمالت وتناولته وراحت تبسطه على الفتى النائم ، ودنا وجهها من وجهه فاذا بانفاسها الحارة تختلط بانفاسه ، واذا بيدها ترفع وتأخذ فى المرور على راسه فى حنان دافق .

وثبتت نظراتها على شفتيه ، فاشتد وجيب قلبها وجرى الدم حارا فى عروقها ، ومشى خدر لذيذ فى أوصالها وطافت بها غيبوبة .

ووضعت شفتيها على شفتيه وأخذت تقبله وهى ترتجف ،

وهتك السكون مواء القطة المشحون بالنداء فانهارت جدر حصونها الدفاعية ، ولفت ذراعيها حوله وطفقت تضمه اليها فى جنون ..

واستيقظ عرفة على الضم والقبل فأخذ لحظة ، ولكن سرعان ما افاق من اثر المفاجأة وراح يندمج فى الجو الذى وجد نفسه فيه بغتة ، فلف ذراعيه حولها وجعل ضغطهما يشتد عليها كلما زادت حرارة مشاعره الفتية التى تثيرها اقل مداعبة .

ولفهم صمت لم يكن يعكره الا الانفاس الملتهبة والهمسات المكتومة ، وصوت نشيج خافت ، وطفرت الدموع من عينى فردوس . لم تكن دموع الندم على الخطيئة التى تمارسها ولا على الشرف المدنس ، بل كانت دموعا تنفس عن النشوة المتفجرة فى غزارة فى اغوارها والسعادة المعربدة فى كل خلجة من خلجات نفسها .

ومر الوقت وهما غائبان عن الوجود ، انفصلا عن كل شىء الا عن انفسهما بل زاد احساسهما بذاتهما ، وخبت النار المظلية فى الجوانح فانسلت فردوس وعادت وهى تسير على اطراف اصابعها وتصلح شعرها بيديها .

وتدسست فى الفراش ونظرت الى الشيخ الفانى الذى يغط فى نومه ، فلم تتحرك مشاعر الاشمئزاز التى كانت تتحرك كلما قامت فى الليل وهى تتلوى من الظمأ وهو هادىء ساكن لا يستشعر ما تكابده من مشاعرها الثائرة .

ومدت يدها ورفعت الغطاء عليه واحكمته حوله ، ثم تمددت وقد وضعت راسها على كفيها وشردت تفكر فى اللحظات المترعة بالمتعة التى مرت بها ، فلم تختلج فيها خلجة ندم بل كانت تستشعر سعادة طاغية ، وتمنى النفس بحياة كلها لذة .

وارتسم على محياها رضا ، كانت تحس زهوا انها انتقمت من المجتمع الذى ظلمها يوم قدمها ضحية الى ذلك الشيخ الذى لا يقدر عليها .

ومشى الفتور فى جفنيها فنامت ملء عينيها وهى تشهق وتزفر فى انتظام ينم عن راحة تامة ، ورفت على شفتيها بسمة خفيفة تطوف دائما بالغارق فى حلم بهيج .

واشرقت الشمس وهى فى نومها العميق ، وراح سويلم يغدو ويروح فى الغرفة وهو يتطلع اليها فى استغراب فما كانت تنام من قبل حتى هذه الساعة . اعتادت أن تستيقظ معه فى الفجر تعد له القهوة وتلبى طلباته .

وتقلبت فى تكاسل وتمطت وفتحت عينيها فى فتور ، فلما وقعتا على سويلم ابتسمت وقالت :

ـــ صباح الخير .

فقال وهو يرنو اليها فى ريبة :

ـــ نوم الموانى ! عينى باردة عليك .

فرفعت الغطاء بقدمها ورفعت رجلها الى أعلى ، ثم قفزت من السرير فى حركة رشيقة واصبحت منتصبة على الأرض امامه . وأحست فى اعماقها ان عليها أن تفسر اسباب السعادة التى تشع من عينيها والتى تستشعرها فى كل حركة من حركاتها ، فنظرت الى زوجها فى خبث وقالت :

ـــ حلمت بالأمس انك ..

ووضعت فمها على أذنه وهمست بكلمة ، ثم ضحكت ضحكتها الممدودة الزاخرة بالنداء .. وتحركت سعيدة ، وقبل ان تغادر الغرفة التفتت وقالت :

ـــ أاعد الافطار الآن ام بعد ان استحم ؟

وقال فى صوت خافت .

ـــ لا داعى للعجلة ، نفطر بعد أن تستحمى .

وسرت فى صدره غيره لم يدر لها سببا .

— ٦ —

وصار سويلم يرقبها بعين ملؤها الريبة ، فقد احس فى اعماقه انها تبدلت بعد اقبال عرفة ، وأصبحت امراة أخرى أكثر فتنة واشد رقة وعذوبة .

بات كلما نظر اليها ورأى ازدياد تورد وجنتيها وتفتح نفسها وسريان حياة جديدة فى اوصالها ، يستشعر بالغيرة تلسع روحه وبالضيق يقبض صدره ، وبمرارة تعصف بكيانه ، وبحسرة قاتلة تكاد تكتم انفاسه .

انها تتودد اليه توددا زاد على ما الفه منها ، وكثر تقبيلها له ، ولكن قبلاتها تبدلت وصار لها طعم آخر . لم تعد قبلات محمومة يحس حرارتها فى روحه وان عجز عن ان يستجيب لها ، ولا قبلات مجاملة ، ولكنها قبلات فيها رضا المرتوى وفرحة السعيد .

كان يرى تحت عينيها مولد تعاسة اخفقت ضحكاتها المنطلقة الزاخرة بالنداء فى أن تخفيها ، بل كانت تشعلها وتزيدها ضراما ، وقد اجتثت تلك التعاسة ونبتت مكانها سعادة عارمة كدرت صفو حياته ، فقد كانت توسوس فى نفسه باتهامات بشعة تزلزل ارجاءه . وتثير فى روحه كوامن الكراهية والبغض والغيرة .

وبذر فى صدره الواهن قلق ، لم يعد يستطيع ان يستقر هادئا فى دكانه ، كانت فكرة خبيثة تقرع راسه فجاءة ، وصورة مقيتة تجمع بين زوجه وعرفة تحتل خياله فيفزع ويعود الى البيت مهرولا محموما ، ويضع المفتاح فى الباب ويديره فى حرص ويتقدم على

اطراف أصابعه فيجدهما معا فى المطبخ او فى غرفة الصبى ، ولكنه لا يرى ما يشفى غليله فيضطر الى ان ينتحل عذرا لعودته المفاجئة ثم ينصرف وهو حائر لا يعرف له شاطئا ، تعبث به أنواء نفسه وتلعب به امواج مشاعره المتقلبة العنيفة .

واحس بها ذات ليلة وهى عائدة من غرفة الصبى ، فاشتد اضطرابه وربما قلقه وخفق قلبه فى عنف ، فانتصب جالسا فى سريره وقال فى صوت متهدج نم عن انفعالات نفسه :

ـــ اين كنت ؟

فلم تجفل ولم تضطرب ولم تقل انها كانت تقضى حاجة ، بل قالت فى هدوء :

ـــ كنت فى غرفة عرفة احكم الغطاء عليه .

وصعدت الى جوار زوجها المنفعل وقبلته قبلة هادئة ، ثم تمددت فى فراشها وسرعان ما مشى الوسن الى اجفانها ، وراحت انفاسها تتردد فى اطمئنان وظل هو يرمقها فى قلق يراوده شك قاتل ، وخطرت له فكرة ان يضغط على عنقها الجميل بيديه ويكتم انفاسها ، ومال نحوها واذا به يطبع على خدها قبلة .

كان يحبها من كل قلبه ، وكان فى قرارة نفسه يحس انه عاجز عن اطفاء ظمئها فكان لا يبخل عليها بشىء يملكه ويبالغ فى ارضائها لعله يعوضها عما لا يستطيع ان يمدها به ، فكان يغفر لها بعض نزواتها ، واذا ما فعلت ما يثير غيرته انفعل مدة ، وراح خلالها يجهد نفسه فى ايجاد المبررات التى تشفع لها عنده ، ويستمر فى اقناع ذاته المتمردة حتى ترضى وتنقشع السحب المتلبدة فى صدره .

كان هانئا قبل ورود ذلك الصبى ، ولكن صفو حياته تكدر بعد أن جاء عرفة الى البيت واصبح موضع اهتمام فردوس ، فقد اصبح

يقاسى وخز مشاعره ولسع سخريته من نفسه لغيرته من غلام أصغر اولاده اكبر منه !

وعاد بعد الغروب كما اعتاد أن يعود كل يوم وقد وطن العزم على أن يطرق الباب وأن ينتظر حتى تفتح له زوجه ، ففى هذا ايحاء بالثقة فى نفسه وفى زوجته ، ولكن ما إن بلغ الباب حتى اخرج المفتاح واداره فى الباب فى حرص شديد ، ودخل على اطراف أصابعه يتلفت .

كانت فردوس فى غرفة عرفة والصبى ممدود فى فراشه وهى تميل فوقه فى حب وتمرر يدها على جبهته فى حنان . انقبض قلبه واحس كأن يدا قوية تهصره هصرا ، ومطرقة هائلة تدق راسه ، وظلمة من الحنق تنسدل على ذاته فتعمى وعيه ، فيتقدم مسلوب الارادة كل ما يحسه رغبة جارفة تغريه بالبطش بهما .

وشعرت فردوس به فلم تجفل ولم ترفع يدها عن جبهة الفتى ، بل زادت دنوا منه وميلا عليه وقالت فى هدوء :

ـــ سويلم ، ناولنى ليمونة من المطبخ .

ووقف سويلم ينظر مشدوها دون أن ينبس بكلمة . كان غضبه قد بلغ نهايته وكان نفسه يتردد متتابعا فى صدره ، وقالت فردوس :

ـــ عرفة محموم ، اظن انه سار مدة فى الشمس .

وسرعان ما تبخرت مخاوف سويلم وصفا جوفه وسلم قلبه ، فقال ناصحا :

ـــ صبى فى اذنيه ماء وملحا .

فقالت فردوس وهى ترفع عرفة بين يديها وتصلح الوسادة تحت رأسه .

ـــ آتنى به .

يذهب الشيخ الى المطبخ يذيب الملح فى الماء ، ومالت فردوس على الصبى تقبله وتضمه الى صدرها .

وعاد الشيخ بكوب ماء اذيب فيه ملح ، ومدت فردوس يدها لتأخذ منه الكوب ولكنه تقدم وراح يصب الماء فى اذنى الفتى ، ولما انتهى من عمله التفت الى فردوس وقال :

ـــ من الأفضل ان نتركه وحده يستريح .

وسار وهو يحسب أن زوجه ستتبعه ولكن فردوس بقيت الى جوار الفتى تزيد حرارته ارتفاعا بقبلاتها .

ودخل سوبلم غرفته وأخذ يخلع ثيابه وحده وهو يستشعر ضيقا ، ونريث ولكن فردوس لم تقبل فنادى :

ـــ فردوس .. فردوس .

فأقبلت متبرمة وقالت :

ـــ ماذا تريد ؟

فقال وهو يشيح بوجهه عنها حتى لا ترى الكدر فى عينيه :

ـــ أعدى العشاء .

وذهبت الى المطبخ وسرعان ما كان الطعام معدا ، وعادت الى زوجها وقالت :

ـــ العشاء عندك .

وهمت بالانصراف فقال لها :

ـــ ألا تأكلين ؟

ـــ كل انت .

وانطلقت الى غرفة عرفة ، وجلس الزوج يتناول طعامه وهو

يتلفت ، محس كراهية لذلك الفتى الذى سلبه زوجته وجعله يأكل لأول مرة وحده .

وقام الشيخ ولم يسغ طعامه ، ودخل غرفته وجلس ينتظر عودة فردوس ولكنها ظلت الى جوار الفتى تمرضه ، فشاق صدره ونفد صبره ونادى فى انفعال :

ـــ فردوس .. فردوس .

واتجهت فردوس اليه وهى ضيقة بندائه ، ووقفت امامه وقالت فى استخفاف :

ـــ نعم !

فقال غاضبا :

ـــ نريد أن ننام .

فقالت وهى ترفع الغطاء عن السرير :

ـــ السرير امامك .

فاتسعت عيناه الضيقتان وقال فى انكار :

ـــ وانت ؟

ـــ كيف أتركه وحده وهو مريض ؟ !

فقال فى فزع :

ـــ اتقضين الليل فى حجرته ؟

فقالت فى هدوء وهى تبتسم :

ـــ وماذا فى ذلك ؟ !

ـــ واين تنامين ؟

ـــ على الأرض بجوار فراشه ، حتى اذا احتاج الى شىء لبيت نداءه .

فقال الشيخ فى انفعال :

ـــ لا ! لن يكون شيء من ذلك .. ستنامين هنا في سريرك .

وأحست الثورة في نبراته فقالت وهي تدنو منه وتداعبه :

ـــ لا تحزن ، سأنام الى جوارك .

واخذت في اعداد فراش على الأرض بالقرب من السرير ، فقال الشيخ في دهش :

ـــ ماذا تفعلين ؟

فقالت دون أن تلتفت اليه :

ـــ سينام معنا حتى لا اضطر الى ان أذهب اليه مرارا في الليل لاطمئن عليه .

فقال في ضيق :

ـــ ألا تتركينه وحده في غرفته ليستريح ؟ .

فقالت وهي تدنو منه وعيناها في عينيه :

ـــ انه مريض .

ومالت على الشيخ وطبعت على خده قبلة لم يرتح لهـــا بل حركت وساوسه ، بات يخشى ذلك العطف الذي تغمره به منذ قدم عرفة الى داره ، ومارت في جوفه انفعالات تنهش صدره ولكنه ظل مطرقا لا تتحرك شفتاه بكلمة .

وانطلقت الى عرفة وطلبت منه أن يقوم لينام معها ومع زوجها في غرفة واحدة ، ولكنه أبى فظلت توسوس له وتغريه حتى أطاعها وسار الى جوارها .

كانت حرارة عرفة مرتفعة قليلا ولكنه ما كان يحس توعكا . ولو تركته فردوس لعكف على استذكار دروســـه او لنام ملء جفنيه .

ودلف الى غرفة الزوجين فتظاهر بالاعياء حتى خيل للشيخ

ان الفتى ينوء ، وسندته فردوس بذراعها ومالت معه وهو يميل ليتمدد فى الفراش المبثوث على الأرض .

وراح الزوج يتلفت فى حيرة وقد ملأ الحنق صدره ، وتحرك حياؤه فتملكه خجل من أن ينام الى جوار زوجة وفتى غريب معهما فى غرفة واحدة .

وذهب الى المصباح وخفت ضوءه ، ولو طاوع نفسه لكتم انفاسه وترك المكان فى ظلام دامس حتى لا يراه الفتى اذا التصق جسمه بجسم فردوس عفوا ، وحتى لا تقع عيناه على ساقيها اذا انحسر الغطاء عنهما .

وسار الشيخ نحو السرير وقد تقاصرت نفسه ، وصعد اليه فى حرص وخفة ، وأخذ يتمدد هونا حتى لا يئن السرير ويبلغ أنينه مسامع الفتى الراقد على بعد أمتار منه .

ومدت فردوس يدها وتناولت قميص النوم فخفق قلب الشيخ فى شدة ، واستولى عليه هلع خشية أن تخلع ثوبها فى الغرفة وتقف نصف عارية تحت بصر ذلك الذى شاركه غرفة نومه رغم أنفه . وفكر سريعا فيما يفعله لو همت بخلع ثوبها دون أن يلفت نظر الفتى ، فقر ريه على أن يقفز من سريره وأن يدفعها أمامه وهو يحجبها بجسمه عن الراقد على الأرض ويجرفها أمامه حتى تخرج من الغرفة .

وتحركت فردوس وقميص النوم فى يدها وغادرت المكان ، فزفر الشيخ فى راحة وان ظلت أعصابه متوترة ، ومرت لحظات من الصمت عادت بعدها فردوس وقد ارتدت قميص النوم وفى يدها ثوبها .

وعلقت الثوب فى المشجب وذهبت الى السرير وصعدت فيه

ونامت فى الطرف الذى يطل على عرفة النائم على الأرض ، وابتعد الشيخ عنها واستقر على الطرف الآخر .

وراح الوقت يمر ، وانتظم نفس الشيخ ثم راح يغط غطيطا ، فرفعت فردوس وسطها وجعلت تتفرس فى وجهه وتيقنت من نومه ، وأكنها ارادت ان تتأكد أنه راح فى سبات فهزته هزا خفيفا واصلحت وضع راسه على الوسادة ، فخفت شخيره وان ظل ثقارقا فى النوم .

ونحت الغطاء عنها فى خفة ، وانسلت من جواره كما تنسل الأفعى وعيناها لا تفارقان وجهه ، ثم رقدت على الأرض الى جوار عرفة وانسدل عليهما غطاء واحد .

— ٧ —

عاد سريلم الى البيت قبل اذان المغرب فقد احتلت فكرة اختلاء فردوس وعرفة والشيطان ، فأحس ضيقا وقلقا ووحشا قاسيا ينهش جوفه ، ولم يستطع أن يصبر على قسوة مشاعره فانطلق مفزوعا مكروب النفس الى الدار .

ووضع المفتاح فى حرص واداره فى أناة ودقات قلبه تدوى فى اذنيه ، وفتح الباب وقبل أن يتقدم خطوة وقف مشدوها حائرا يفرك عينيه بظهر يده ليزيح الغشاوة التى انسدلت فجاة على عينيه ، خيل اليه انه راى فردوس وعرفة يبتعد احدهما عن الآخر فى فزع ، وراح وهمه يؤكد له أن فمها كان على فمه ، ولكنه لم يكن واثقا من انهام أوهامه فقد خانة بصره ، لم ير شيئا واضحا ، كل

ما احسه حركة سريعة لا يدرى ان كانت حقيقة او وهما من الأوهام .

وتقدم خطوات وريبة قاتلة تستولى عليه وبدا قوية تهصر فؤاده . دمر بين فردوس وعرفة وهو عابس الوجه ، ولم يلق عليهما تحية ولم ينبس بكلمة وقد اسبل جفنيه على عينيه ، خشى ان يقع بصره على احدهما فيفلت منه زمام نفسه ويندفق السباب والاتهام من فمه دون وعى .

ودخل غرفته وفردوس فى اثره ، واحس الباب يغلق عليهما فربا قلبه . وزاد اضطرابه لما تقدمت فردوس منه واخذت تعاونه على خلع ثيابه وهو يتحامى ان تلتقى عيناه بعينيها .

وجلس على مقعد قريب من السرير يفكر فى حقيقة مشاعره الثائرة بين جوانحه . وهو يتطلع الى فردوس من بين اهدابه فيحيره ذلك الهدوء الذى يغشاها . وكادت النار المندلعة بين ضلوعه تخبو والهواجس التى تمور فى اغوار نفسه تسكن ، ولكن فردوس تقدمت منه وطوقته فى دلال وقبلته قبلة طويلة لم يستشعر حرارتها ولكنه احسها سما زعافا يسرى فى بدنه .

وسرت فيه قشعريرة وهاجت وساوسه وتضخمت ريبته ، وزادت النار المشتعلة فى جوفه تأججا وراح هاتف من نفسه يؤكد له ان ما رآه حقيقة وقعت وليس وهما من الأوهام .

واخذت فردوس تتحدث وتضحك ضحكتها الممدودة الزاخرة بالغناء وهو لا يعى مما تقص شيئا ، فقد كان مستغرقا فى المشاعر المنبثقة فى اغواره مصغيا لوسوسات الاتهام .

وقالت فردوس :

ـ سأعد العشاء .

وخرجت من الغرفة وهو غافل عنها ، وان كانت افكاره

ومشاعره وخلجات نفسه وخفقات قلبه ركزت أضواءها عليها ، وراحت تحاول جاهدة أن تهتك الظلمة التى تغلفها لتبدو حقيقتها عارية بلا أستار .

ومر الوقت دون أن يشعر به ، كان فى شبه غيبوبة فقد فاضت مشاعره حتى غمرته وكاد يفقد الاحساس ، وأفاق على صوت فردوس وهى تقول :

ـــ تفضل .

وقام صامتا وسار الى حيث وضعت الطبلية ، وقبل ان يجلس ارتفع صوت فردوس ينادى :

ـــ عرفة .. عرفة .. تعال .

وخيل للشيخ أن فى صوتها رقة وأن له نغمة خاصة حانية وانه زاخر بالانفعالات ، وأن نطق اسم الفتى نم عن مشاعر كثيره كامنة فى أعماق النفس الغامضة ، فاضطرب الشيخ حنقا واستبد به الأسى .

والتفوا حول الطبلية وامتدت الايدى الى الصحاف ، وســـاد الصمت وراح الشيخ يرصد حركات الزوجة والفتى من بين أهدابه المسبلة ، والتقت عينا فردوس بعينى عرفة أكثر من مرة .. كانت نظراتهما عابرة لا تفضح شيئا ، وتظاهر الشيخ بالانشغال عنهما بورك الدجاجة الذى كان يعالجه بيديه ، وانتهزت فردوس الفرصة ورمزت بعينها لعرفة فى خفة ، ولمح الشيخ ما فعلت فأحس كأن خنجرا سدد الى قلبه وتقيحت نفسه حتى خطر له أن يلقى بما فى يده فى وجهها ، وأن ينقض على الفتى ينشب أظافره فى صدره .

وراحت نفاحة آدم الناتئة فى عنقه تتحرك صاعدة هابطة .. كان يجاهد فى ابتلاع ريقه الذى جف ، وعافت نفسه الطعام فطفق ينظر زائغ البصر دون أن تتحرك يده .

وفطنت فردوس الى انه لا يأكل فرمقته برهة ثم قالت :
ـــ لماذا لا تأكل ؟
وارادت أن تداعبه فقالت له :
ـــ لعلك تزوجت واكلت عند زوجتك الثانية !

وضحكت ضحكتها المعدودة الزاخرة بالنداء ، وابتسم عرفة وغض من بصره خشية أن تلتقى عيناه بعينى الشيخ ، وأحس الشيخ قهرا ولم تتحرك شفتاه ولن كانت الفاظ السباب القاذعة تتدفق مع انفاسه دون أن تخرج من فمه .

وابتعد عن الطبلية ، وقالت زوجه وهى تشير الى صحفة بها عسل نحل :
ـــ كل عسل .

ورن فى أغواره صوت ساخر يردد : « كل عسل مع الناس .. كل عسل مع الناس » ، فانتفض وانتصب واقفا ليطرد ذلك الصوت الذى يخزه وخزا قاسيا ويلهب روحه بسياط الاستهزاء ، وانطلق الى غرفته وطفق يغدو ويروح وهو يشهق ويزفر فى صمت مسموع .

وراح صوت هادىء يعيد على مسامعه قصة الشيخ الذى شكا اليه تلاميذه سوء سلوك زوجته الجميلة ، وظلوا يزينون له الانفصال عنها حتى طلقها وزوجوه امراة شريفة رحيمة . وجاءوا اليه بعد مدة يسالونه رايه فى الزوجة الجديدة فقال لهم : كنت آكل عسلاً مع الناس فأصبحت آكل الزفت وحدى . ورن فى أغوار سويلم الصوت الهازىء « كل عسل مع الناس » فثارت نفسه ، واخذ يمرر يده على وجهه ليمسح المشاهد البشعة التى بدات تتشكل فى ذهنه .

واحس سويلم احتقارا لذلك الشيخ الذى سمح لنفسه ان

تعترف بأنه كان يأكل العسل مع الناس ؛ كيف رضى لنفسه هذا الهوان ؟ كيف رضى ان يمرغ شرفه فى الوحل فى يسر ؟ وراح يسب ذلك الشيخ ويلعنه كأنما كان واقفا أمامه ، وسرعان ما استشعر تقاصرا فقد خيل اليه انه يسب نفسه .

وتلبدت ريبة وأوهامه فى صدره واشتدت نفثاته قتاما ، فانهال فى خياله فردوس وعرفة ضربا ولطما وصفعا ، واخذ يلتقط انفاسه فى جهد كأنما يلتقطها من ثقب ابرة .

ودخلت فردوس الغرفة واغلقت الباب خلفها ، واتجهت الى زوجها الذى كان يتحاشى أن تلتقى عيناه بعينيها وقالت :

ـــ انت مشغول البال الليلة ، فيم تفكر ؟

فقال دون أن يلتفت اليها :

ـــ لن اقبل عرفة فى بيتى بعد هذه السنة .. لن اقبله ابدا .

وطارت نفس فردوس شعاعا وقالت فى خوف :

ـــ لماذا ؟

ـــ لانني لا اطيق ان ارى رجلا غريبا فى بيتى .

فقالت فردوس وهى تجمع شتات أمرها :

ـــ رجل ؟ .. غريب ؟ .. انه طفل .. تلميذ فى مدرسة ، وسيظل طفلا حتى يتم دراسته .

فقال سويلم فى انفعال :

ـــ انه رجل ، ولو تزوج لانجب أولادا .

فقالت فردوس فى تحد وقد افاقت من المباغتة وملكت زمام عواطفها :

ـــ وحتى اذا كان رجلا فسيظل فى بيتى ، انه قريبى ولن اقبل ان يقال انني ضنقت بقريبى واوصدت بابى دونه .

ـــ وانا لن اقبل ابدا أن يقال ان بابى مغلق على زوجتى ورجل غريب .

ـــ لا تقل « غريب » . انه قريبى .. ابن خالتى .

ـــ انه ليس ابن خالتك ، وحتى لو كان ابن خالتك الا يحل لك ؟!

ـــ ولكننى فى عصمة رجل .

واحس هوانا ، فما كان يثور هذه الثورة لو كان ما يزال شابا ولكنه شيخ ذابل جفت ينابيعه وهى ظمآنة . ان غيرته تزيد غضبه ضراما فقال فى انفعال :

ـــ لن يعود نعرفة الى دارى بعد هذه السنة .. لن تطأ قدمه بيتى .. هذا قرارى .

فقالت فردوس وقد اتسعت عيناها :

ـــ اذا اصررت على الا يعود فسأذهب معه .

ـــ ماذا تقولين ؟ تذهبين معه ؟ !

فقالت وهى تتظاهر بالانكسار :

ـــ نعم ، سأذهب معه حتى يعرف اهلى اننى غلبت على امرى وان هذه مشيئتك .

وضايقتها فكرة بعد عرفة عنها فاجهشت بالبكاء ، وقالت فى عبارات نخنقها العبرات :

ـــ او كان قريبك ما فكرت فى طرده ، ولكنك تطـــرده لانه قريبى ، لانك تريد ان تخلنى بين اهلى .

وصاحت وهى تبكى تدافع عن حياتها الجديدة التى تعلقت بها والتى يتهددها الدمار :

ـــ لن اقبل هذا الذل ابدا .. لن اقبل هذا الذل ابدا .

ورأى الشيخ الدموع المنهمرة على خديها فألجم لسانه وان

كانت انفعالاته الثائرة تمور فى أغواره ، وسار مطرقا نحو السرير وصعد اليه واستلقى على ظهره وشرد ببصره ينظر الى عروق الخشب فى سقف الغرفة . وصدره ينتفخ كالقربة ثم ينكمش كمئانة انفجرت فجأة .

وانسلت فردوس الى السرير وهى تبكى ، ونامت وقد اعطت ظهرها لزوجها اعلانا لخصامها وعدم رضائها عنه . واستمرت فى نحيبها وهى تتعمد أن يكون مرتفعا ليصل الى مسامع الزوج ويفعل به أفاعيله .

وراحت خلجة رقيقة تنبض فى جوفه ، ثم تحركت مشاعره الرواقص تتقدم فى حنان فى صدره لتطرد من أمامها احساسات الأسى .. وصفت نفسه وافعمت بالرقة ، وخطر له أن يمد يده يمسح دموعها وأن يضمها الى صدره ولكنه راح يقاوم هذه المشاعر حتى لا يبدو أمامها ضعيفا متهالكا .

وتململ فى رقاده ودنا قليلا منها وهم بأن يمرر يده على شعرها فى حنان ، ولكنه كبح زمام رغبته .. وراح الوسن يداعب عينيه فاطبق جفنيه واستسلم للكرى .

وكفكفت فردوس دموعها واستشعرت رغبة جامحة تستبد بها ، انها تحن الى ذراعين قويتين تلتفان حولها وصدر حنون يحتويها وانفاس حارة تذيب المشاعر القلقة المنبعثة فى اعماقها .

ونظرت من فوق كتفها الى الشيخ الراقد الى جوارها فالفته يغط فى نومه ، فانسلت من جواره فى خفة ، وسارت على اطراف أصابعها وهى مسحورة بالاحساسات الناعمة التى تدغدغ حواسها والقلق الشهى الذى يدب فى روحها والوهم الكبير الذى كان يقودها .

ودلفت الى غرفة عرفة وقلبها يدق دقا رقيما ، ودماؤها تتدفق حارة فى عروقها ، وشبه غيبوبة تغمرها ، وارتمت على الفتى لتذوب فيه وتطمئن الى انه معها لا يفرق بينها وبينه شيء .

ومر الزمن يطوى فى جوفه أسرار البشر ، وتقلب الزوج فى سريره واحس انه يتقلب فى حرية دون ان يرتطم جسمه بجسمها أو تحتك قدمه بساقها ، ومد يده يتحسس فلم يجد الا فراغا ، ففتح عينيه مفزوعا ودق قلبه فى عنف وتدفقت انفعالاته فى ثورة ، وادار عينيه فى المكان وهو زائغ البصر ، فلما لم يجدها انبهرت انفاسه وغادر السرير وهو يكاد ينهار من الكمد .

وتقدم وقلق شديد يجتاحه وريبة قاتلة تزلزل كيانه ، وخوف من المجهول يستبد مبه ومشاعر ثقيلة تجثم على صدره ، وبلغ باب الغرفة فالفاها قادمة تصلح ثيابها ، منكوشة الشعر متوردة الخدين حافية القدمين ، فقال لها فى صوت متهدج مضطرب :

— اين كنت ؟

فقالت دون ان تضطرب :

— فى دورة المياه .

والجم ولم يجد ما يقوله فذهب الى حيث وضعت القلل ، ورفع قلة وجعل يتجرع الماء منها فى صوت مسموع ، واحس الماء البارد يجرى فى جوفه ولكن لم تنطفىء النار المندلعة فى حناياه .

وعاد الى فراشه وهو يحاول ان يبدو هادئا ، ولكن الافكار البشعة وجدت مرعى خصيبا فى راسه فراحت تتضخم وتضغط عليه فيئن أنينا مكتوما يدمى روحه ويزيد أساه .

وراودت أوهامه تؤكد له انها كانت هناك فى غرفة عرفة بين احضان الفتى ، فأحس كان طعنة خنجر سددت الى قلبه .. والتفت

اليها في حنق فألفاها مسبلة العينين مستسلمة للنوم الهادىء اللذيذ منتظمة الأنفاس ، فربا ضيقه وثبتت انظاره على عنقها الطويل ونحرها العارى وراودته فكرة أن يقبض بيديه على عنقها وان يضغط عليه حتى يزهق روحها ، ولكنه راح يطرد الفكرة من راسه .. انه يحبها .. يهواها .. يريدها لنفسه خالصة .. انه عرفة الذى ينبغى أن يبعد .. أن يزال من طريقه .. أن يختفى من حياتها .

وطفق يفكر فى عرفة وفيما يفعله به ليتخلص منه ، ونبتت فى راسه أفكار كثيرة راح يقلبها ويقارن بينها ، واخيرا ارتاح الى فكرة بعينها فوطن العزم على انفاذها .

— ٨ —

القى عرفة ورقة الامتحان على الكنسول وخلع ثيابه وارتدى جلبابه المخطط وارتمى فى الفراش وأرخى لخياله العنان ، فلم يفكر فى الأيام الباقية على انتهاء امتحان آخر السنة ، ولا فى رفاق المدرسة ولكن شغلت راسه دارهم المتواضعة فى القرية ، وامه الجالسة فى ركن من القاعة تعد الطعام واخوته حولها يتصايحون ، وأبوه وهو مقبل من عملة والشمس تلفظ آخر انفاسها ، وصـــوت مؤذن القرية يؤذن بالمغرب يدعو الناس الى الصلاة والأوبة الى دورهم .

ونبتت فى جوفه مشاعر رقيقة واستشعر حنينا الى اهله ، فخفق قلبه شوقا وانتابه ضعف فغمض وترقرقت الدموع فى مآقيه

فراح يمسحها بظهر يده فى راحة ، وقد استسلم للأفكار اللذيذة النابضة فى ذهنه .

وانسم بالشوق وتحرك ليفعل شيئا يطمئن به مشاعره الهائجة فغادر فراشه وراح يصر حوائجه فى « البقجة » التى جاء بها من قريته وهو مشبع بالغبطة ، يتمنى ان تطوى الايام الباقية سريعا ليعود الى حياة القرية التى يشتهيها .

ودلفت فردوس الى الغرفة ووقفت ترتبه مليا وهى تعجب ، وراحت تتساءل فى نفسها عما يدفعه الى تجهيز حوائجه وأمامه حتى ينتهى امتحانه ثلاثة ايام طويلة ! ان دقائق قليلة كفيلة بوضع كل ما يملك فى الصرة .

وهمس فى ذاتها هامس يسأل : ايسافر الى اهله عقب انتهاء امتحانه مباشرة ؟ أيتركها للظمأ بعد أن وجدت عنده ما يروى غلتها ؟ واذا اراد أن يسافر أتتركه أم تغريه على البقاء ؟

ما الذى يغريه على العودة ؟ الا يجد عندها ما لا يجده فى داره ؟ انه ينعم بغرفة وحده ، ويأكل كل يوم طعاما ما كان يأكله الا فى الاعياد ، ويسعد بها ، ألا يكفيه كل هذا ليبقى ؟ !

واحست ضيقا .. فطنت من حركاته انه يتعجل الزمن ليتركها ، آه لو ذهب لصارت حياتها فراغا . انها لا تطيق أن تتصور انه سيتركها . ليتها تجدعذرا تنتحله لتعود معه الى القرية ، او ليت ستويلم يغضب منها ويأمرها ان تذهب الى اهلها فتنطلق معه سعيدة لا تفارقه حتى تنقضى اجازته !

ان هذا الفتى ملأ حياتها .. اذاقها ما لم تذقه طوال سنين زواجها .. خفق له قلبها خفقات شهية .. شغفت به حبا . أكانت تصدق انها ستهيم يوما بصبى لما يتجاوز الخامسة عشرة !

وتقدمت منه وقالت وهي تبتسم :

ـــ من يراك وانت تصر ثيابك يحسب انك مسافر الساعة ؟

وسرعان ما غاضت ابتسامتها ، كان رنين صوتها في جوفها مقبضا فقالت في صوت فيه اسى :

ـــ لماذا هذه العجلة ؟

فقال عرفة وقد شرد ببصره بعيدا :

ـــ احس شوقا عظيما الى امي وابي واخوتي بل الى جدران دارنا ، اتمنى ان اغمض عيني فاجد نفسي بينهم .

فرنت اليه بعيون مفتوحة ، وتحركت عقارب غيرتها ولم تستطع ان تكبت مشاعرها فقالت في عتاب :

ـــ وانا ؟

فنظر عرفة اليها نظرة بلهاء ، لم يفهم ماذا تريد فقال في حيرة :

ـــ ماذا ؟

فقالت في صوت متهدج :

ـــ هل ستذكرني ؟ هل ستشتاق الي ؟

فقال دون ان يضطرب او تطرف عيناه :

ـــ طبعا .

وكان كاذبا في قوله فلم تخطر له على بال لما فكر في عودته الى اهله ، ولم يستشعر حسرة لانه سيخلف وراءه شيئا يحبه . انها دخلت حياته كما دخلت الفتيات اللاتي عرفهن قبلها ، لقد كان لها سحر اول عهده بها ولكنها لم تترك في قلبه اثرا ، لم تزد في نظره عن فتاة لعب معها لعبته المفضلة ثم عاد كل منهما الى بيته .

احس نحوها مرة احتقارا وفكر في ان يفر منها ، ولكن حتى

ذلك الاحساس تبخر وصارت بالنسبة اليه شيئا يقضى معه لحظات مترعة بالمتعة الجسدية ثم يمر كل ما احسنه مرور الانفاس التى دخلت رئتيه وخرجت منهما دون أن يذكر من ذلك شيئا .

ورن صوته فى أذنى فردوس زاخرا بالرياء ، لم يكن له تهدجات اضطراب المحبين ، ولم يكن له ذلك الطعم اللذيذ الذى كانت تتذوقه لما كان يهمس لها بالفاظ تافهة أول عهـــدها به . واستشعرت ضيقا وامتلأت رغبة فى أن تنتزع منه اعترافا بحبه فقالت له :

ـــ أتحبنى ؟

وارهفت حواسها ، كانت تتمنى أن يقول لها انه يعبدها وانه لا يستطيع أن يعيش بدونها ، ولكنه قال فى بساطة :

ـــ طبعا .

وثارت مشاعرها وسرت فى بدنها رعدة ، وانسدلت على عينيها غمامة فلم تعد ترى شيئا وغمت عليها احساساتها ، وارادت ان تقضى على ذلك القلق الذى تفجر فى أعماقها فتقدمت اليه وضمته الى صدرها وراحت تقبله فى نهم وانفعال ، وسرعان ما استجاب لندائها .

وعادت الى غرفتها هادئة وتمددت فى فراشها وقد أسبلت عينيها فى استسلام وبدأ الوسن يداعب جفنيها ، واذا بسؤال راح يتدسس الى رأسها « هل الاستجابة دليل الحب ؟ » وشغل تفكيرها بالسؤال والاجابة عنه ، وراحت توهم نفسها أن استجابته لها دليل على حبه ، ولكن وساوس الشك كانت تبطل الأوهام .

وباتت تترجح بين انكارها حائرة ، لم تكن واثقة الا من شىء واحد هو أنها تحبه وأنها تتمنى أن تقضى ما بقى من عمرها معه .

آه لو كان اكبر من سنه وقادرا على ان ينفق عليها واشار لها بأصبعه أن تتبعه ، لفرت معه دون تردد أو تفكير فى مغبة ما تفعل .

وجاء الليل واغلق باب الغرفة عليها وعلى زوجها ، فراحت تتمسح به وتداعبه وتضع قبلاتها حيثما تقع ، فأوجس سويلم خيفة واخذ يتاهب لسماع رغبة جديدة من رغباتها .

ولفت ذراعها حول رقبته واسندت راسها على كتفه فراح شعرها يداعب خده الخشن الغائر ، وقالت فى صوت منكسر مشحون بالرقة والرجاء :

ـــ سويلم ، اشتقت الى اهلى اريد ان ازورهم .

فقال سويلم فى نبرات هادئة :

ـــ هل لك اهل غيرى بعد ان ماتت امك ومات ابوك ؟ الم تقولى لى انك امى وانتى امك وابوك ؟ !

فقالت وهى تزداد التصاقا به :

ـــ انت الخير والبركة ، ولكننى احن الى زيارة قبر ابى وامى . ورؤية خالتى وابناء خالتى .

ـــ وهل زارك احد منهم ؟

فقالت فى صوت حالم :

ـــ الج يبعثوا الى" عرفة !

واحس كأن خنجرا صوب الى قلبه ، واذا بخاطر يزحف الى راسه يهمس بانها لا تبغى زيارة قبر امها وابيها ولكنها لا تطيق فراق الفتى ... تريد ان تكون معه ، فاهتز كيانه وانقبض صدره وثارت مشاعره وهم بأن يصيح فيها ، ولكن ضغط احساساته الشديد حبس صوته وكاد يكتم انفاسه .

وكانت فردوس تهيم فى أمانيها فلم تحس انفعال الرجل الملتصق بها ، وقالت وهى شاردة ببصرها وذهنها معا :

ـــ سأسافر مع عرفة وسأنتظر حتى تأتى لتأخذنى ، ما أجمل هذا ! سيعيد أيام سعادتى .. سأحس تلك الاحساسات الغامضة اللذيذة التى كنت أحسها فى الأيام الحلوة التى سبقت زفافنا .

وانفجر مرجل غضب الزوج فقال وهو يبعدها عنه بكتفه :

ـــ لن يكون هذا أبدا .

وأفاقت من حلمها فنظرت إليه بعينين مفتوحتين وقالت :

ـــ لماذا ؟

فقال والغيرة تنهش فؤاده :

ـــ قلت لك أننى لا أريد عرفة فى بيتى ، ولا أحب أن تكونى فى مكان يكون فيه عرفة .

ـــ لماذا ؟

فقال فى غيظ :

ـــ لأننى أكرهه .. أمقته .. أبغضه .. لا أحبه .

وضاقت الدنيا فى عينيها ، وتحركت مشاعر كثيرة متباينة فى أغوارها فانفجرت قائلة :

ـــ لماذا ؟

وأحس كأن سوطا هوى على وجهه ، فقال وصـــدره يعلو ويتخفض :

ـــ لأنه .. لأنه ..

ولم يستطع أن ينطق الكلمة التى ملأت رأسه وفمه ومزقت كيانه ، فهب واقفا وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا وهو يرتجف يحس كأنه سينفجر ويتطاير أشلاء ، ووجدت فردوس الفرصة

مواتية لاثارته وارغامه على اهانتها لنجد فى ذلك تكئة لغضبها وعودتها الى أهلها ، فقالت وهى تقف فى طريقه متحدية :

ـــ لأنه ماذا ؟ قل .

فقال وهو يزيحها بيده من طريقه :

ـــ كفى .. اسكتى .

فقالت فى عناد :

ـــ لن أسكت قبل أن اعرف ماذا يدور فى رأسك .. قل لأنه ماذا ؟

فقال فى ضيق :

ـــ اوه .. والله ان لم تسكتى لأذهبن اليه الآن وأكتم انفاسه .

وكان يذرع الغرفة فى طريقه الى الباب ، فأسرعت فردوس دون تفكير الى الباب تسنده بجسمها وقد عزمت على أن تقاوم زوجها اذا ما فكر فى مغادرة الغرفة ، ولكنه ظل غاديا رائحا وهو يقول فى حنق وهو يصرف انيابه :

ـــ سأقتله .. سأقتله يوما .

وجعلت فردوس ترصد حركاته دون أن تنبس بكلمة وقد أوجست منه خيفة .

— ٩١ —

كان الوقت ضحى والشقة هادئة لا يسمع فيها الا وسوسة اساور وارتطام نحاس بنحاس بين لحظة واخرى وخرير ماء ، فقد ذهب سويلم الى دكانه ، وانطلق عرفة الى تادية امتحانه ، ودخلت فردوس تغتسل .

كانت فردوس تستحم عقب أن تهب من نومها وقبل ان تعد طعام الافطار لزوجها ، ولكنها قرأت فى عينى زوجها ريبة ووخزها مرات بكلمات مغلفة بدعابة نطقت بالشك الذى يساوره ، فصارت تنتظر حتى يخرج وتولى وجهها شطر الحمام .

وانقضت فترة صمت طويلة ، كان الكوز فى يد فردوس ولكنها لم تمده امتلأه من الطست الموضوع تحت صنبور الماء فقد شردت ببصرها تفكر ، لم يبق الا يومان على سفر عرفة تعود بعدهما الى حياة الحرمان والجفاف ، ولن تعرف الحمام الا يوم الجمعة لتزيل عرق الاسبوع وتبدل ثيابها التى اتسخت .

وطافت بها سحابة من الاسى ، وربت سحب الحزن وتراكمت لما تذكرت انها لن تستطيع أن تذهب الى عرفة فى قريتهم اذا هزها الشوق اليه ، فقد كانت ثورة زوجها عارمة لما طلبت منه أن تزور اهلها . انه يشك فى العلاقة التى بينها وبين عرفة ، وانه ليهم بأن يلقى الاتهام فى وجهها ولكن كبرياءه تاجم لسانه .

قال لها مرارا انه لايطيق فراقها ، ويا طالما عبر لها عن حبه .

انه صادق فى مشاعره ولكن رقة الكلام ما كانت بقادرة على اخماد انفاس الغول الذى غذاه عرفة بشبابه فزاده ضراوة ووحشية .

وتدسست الى رأسها فكرة : اخلت الدنيا من الرجال ولم يعد فيها الا عرفة ؟ ! اذا سافر عرفة فما اكثر الرجال الذين يتمنون ان ينالوا ما ناله عرفة ، ولم تنزعها الفكرة ولم تحاول وادها وان احست عدم راحة ، كانت فى اعماقها تفضل أن تدوم علاقتها بالفتى وان تقتصر عليها .

وفكرت فى سوليم واذا بالعجب يملؤها ، لماذا يغار كل هذه الغيرة لمجرد شكه بأن هناك شيئا بينها وبين عرفة ؟ انه لم ير شيئا أنكره ولكنه احس احساسا غامضا عذبه ، ولكن لماذا يتعذب ؟ ان عرفة لم يسلبه شيئا ولكنه استعمل ذلك الشيء الذى لم يعد هو بقادر على استعماله . وقبل أن تستريح الى الفكرة وخزها واخز من نفسها راح يسألها اكانت تحس ما يحسه زوجها لو كانت اكبر منه سنا وهام زوجها على وجهه يلتقط لذاته ؟ واستشعرت ضيقا لما صاح فيها صائح انها ما كانت لتغفر لزوجها ما يفعله وان كانت هى غير قادرة على تلبية رغباته .. انها طبيعة البشر .

ومدت يدها بالكوز فى عصبية تملؤه وصوت يدوى فى اعماقها : « هذا ظلم .. هذا ظلم .. ما كنت لأختار هذا الطريق لو كان لزوجى شبابا .. ظلم .. ظلم » . « ماذا يفعل سويلم لو رآنى بين احضان رجل غيره ؟ .. يقتلنى ويقتله .. سويلم يقتل ؟ ولماذا لا يقتل ؟ لقد قال لى : والله ان لم تسكتى لأذهبن اليه الآن واكتم انفاسه .. انه لو خانتنى زوجى مع امرأة لقتلته وقتلتها . أستحق القتل ؟ . انا استحق القتل ؟ ! هذا ظلم .. ظلم » .

ونهضت ترتدى ثيابها وهى تعجب من نفسها وتتساءل عما جعل راسها يجيش بكل هذه الافكار وما كانت تفكر فى شىء من ذلك ، وما كانت لتندم على ما تفعل ، وما كانت تحاسب نفسها ، اهيجت افكارها اشباح الوحدة التى تترقبها بعد ذهاب عرفة ؟ انها لا تدرى . كل ما تدريه انها ضائعة تائهة حائرة مضطربة .

واحست رغبة فى البكاء وانبثقت دمعتان فى عينيها ، ولكن لماذا تبكى ؟ ! انها تستشعر رهبة . . رهبة من شىء غامض . انها خائفة وما كانت تعرف الخوف من قبل ، انها لتنساب من جوار زوجها فى هداة الليل لتذهب الى عرفة دون ان تختلج فيها خلجة رهبة ، فما بالها تضطرب الساعة وليس هناك ما تهابه ؟ !

وجففت راسها بالمنشفة ، وكورت شعرها ثم لفت المنشفة حول راسها فبدت كالعمامة التى تلف على شاهد الضريح ، وفتحت باب الحمام وقبل ان تجتازه سمعت طرقا على الباب فصاحت :

ـــ حاضر .

وذهبت الى الباب وفتحته فالفت ام نعيم تنظر اليها طويلا وتلتمع عيناها المضعضعتان ببريق خبيث ، وتنفرج شفتاها عن فم ليس فيه الا ناب واحد طويل ، ثم تقول :

ـــ نعيما . . صباحية مباركة .

وقالت فردوس وهى تفسح لها طريقا :

ـــ انعم الله عليك . . تفضلى . .

وتقدمت ام نعيم فى خطوات بطيئة . . كانت ترتدى جلبابا اسود فضفاضا وعلى راسها طرحة سوداء صار لونها زيتونيا ، وظهرت سحوالفها من تحت المنديل الذى تعصب به شعرها بيضاء ناصعة . انها فى السبعين من عمرها ومع ذلك لا تقر فى بيتها ،

تنتقل من بيت الى بيت حاملة الاسرار التى تبعثرها هنا وهناك . لذتها الوحيدة ان تسمع وان تنقل ما تسمع وان تزيد على ما تنقله ما شاء لها خيالها ، وما كانت تلتقط الا الفضائح والمصائب والمعايب .

وتلفتت وقالت فى حسد :

ـــ ربنا يمتعك بشبابك .

وانفرجت شفتاها عن نابها الطويل وقالت :

ـــ والله قلبى يحبك لانك يتيمة مثلى وبنت حلال ، روحى الله يسترك دنيا وآخرة يا فردوس يا بنت زكية .

ووصلتا الى غرفة عرفة ودلفتا اليها ، وجلست أم نعيم على الارض ومالت فردوس عليها تحاول رفعها وهى تغمغم قائلة :

ـــ والله قومى واجلسى على الكنبة .

ـــ وحياة النبى اللى زرته انا مرتاحة .

ـــ ارفعى يا شيخه .

ـــ مرتاحة والنبى ، روحى الله يريحك ويسترك دنيا وآخرة .

وجلست فردوس أمام مرآة الكنسول ورفعت المنشفة عن رأسها واخذت تسرح شعرها الاسود الطويل ، وام نعيم ترمقها فى حسرة تحاول أن تغريها بنظراتها ، وقالت :

ـــ ايه .. ذهبت ايامنا . كانت اياما جميلة ولو انها كانت قصيرة . كان المرحوم لا يترك شعرى يجف ابدا ، ما ان اخرج من الحمام حتى يعيدنى اليه مرة ثانية ، كنت احب ان اصلى ولكن ما كان يترك لى وقتا للصلاة .

وضحكت فردوس ضحكتها المنغمة الزاخرة بالنداء وقالت

ـــ أما كان له عمل غيرك ؟

فقالت أم نعم وهى تلوح ذراعها :

ـــ كانت دكانة تحت البيت ، وكان كالملوك صاعدا هابطا .. لم يكن آدميا .. كان وحشا .

وصمت أم نعيم قليلا ثم قالت :

ـــ الله يرحمه ويجعل أراضيه الجنة .

فقالت فردوس وهى تضحك :

ـــ اطمئنى انه من أهل الجنة .

فقالت أم نعيم وهى ترمقها فى استخفاف :

ـــ وما ادراك ؟

ـــ لانه مات شهيدا .

فقالت أم نعيم فى ضيق :

ـــ مات وتركنى صغيرة .

ـــ ولماذا لم تتزوجى بعده ؟

ـــ قلت أعيش للوالدين ولا أقهرهما ، حرمت نفسى وربيتهما ولما كبرا تزوجا وتركانى وحدى ، آه لو كنت أعرف ما أهدرت شبابى .

فقالت لها فردوس وهى ترمقها فى المرآة :

ـــ أنادمة على ما فعلت ؟

فقالت أم نعيم فى حسرة وان تظاهرت بالمزاح :

ـــ لو كان فى رأسى عقل ما قبلت أن أعيش بلا رجل حتى تجف عروقى .. روحى الله يمدلك فى عمر العم سويلم ويروى لك عروقك .

ومالت فردوس برأسها وضحكت ، وراحت أم نعيم تتجول فى الغرفة بعينيها فرأت جلباب عرمة معلقا ، فالتمعت عيناها ببريق خبث وقالت :

ـــ اما زال العم سويلم مرقا ؟

فقالت فردوس وهي تنهض :

ـــ انه مرق ولكنه ليس وحشا كزوجك .

وعادت أم نعيم تنظر الى جلباب عرفة وقالت :

ـــ نعمة .. احمدى الله عليها ، ما جئت لزيارتك الا ووجدتك خارجة من الحمام .

وصمتت قليلا تغالب الكلمات التى تتراقص على لسانها ، ولم تستطع ان تكبحها ولكنها غيرت اتجاهها قالت :

ـــ وكيف حال عرفة ؟

ونظرت فردوس اليها تتفحصها فى ريبة فالفتها محرقة ، انها تعرفها داهية تريد أن تجرها إلى ما تبغى لتدور بقصتها مع عرفة على بيوت الجيران ، فراحت تتحدث فى روية وتزن الكلمات قبل أن تنفوه بها قالت :

ـــ بخير . وسيسافر بعد غد ليعود الى اهله .

ـــ ولماذا هذه العجلة ؟

ـــ وما الذى يبقيه بعد انتهاء الامتحان ؟ !

وأسبلت أم نعيم عينيها .. كانت هذه عادتها كلما وخزت وخزة كأنما كانتتخشى أن تكشف عيناها سريرتها ، وقالت :

ـــ يساعد العم سويلم فى الدكان .

وهمت بأن تقول غ انه لا يزال صغيرا ، ولكنها احست ان العجوز ستسخر من قولها ، وانها قد تنفذ من ذلك الى السؤال عن سنه والى الحديث عن قدرته على انجاب الأولاد ، فوجدت أن الصمت أسلم فلم تنبس بكلمة وتحركت تنشر المنشفة .

وضاق أم نعيم ذلك الصمت وغاظها تهرب فردوس من

الخوض فى هذا الحديث ، ورأت أن تعرج على حديث آخر فيه غمز قد يعود بها الى الحديث عن عرفة ، فقالت :

ـــ العم سويلم رجل طيب وابن حلال ولكننى فى حيرة من أمره هذه الأيام ».

ولزمت الصمت لتثير فى فردوس رغبة كشف سر الزوج . وسرها انها نجحت فى خطتها لما رأت فردوس تقبل عليها وتقول لها فى اهتمام :

ـــ وماذا أنكرت من أمره ؟

فقالت أم نعيم فى صوت فيه رنة اسى متكلفة :

ـــ متعيره مع سرحان .

ـــ سرحان من ؟

فقالت أم نعيم وقد أسبلت عينيها :

ـــ الا تعرفين سرحان ؟ انه يعيش على قتل الناس .

ـــ يعيش على قتل الناس ؟

ـــ نعم . من له غريم يؤجره لقتل غريمه .

ـــ ومتى يقابله سويلم ؟

ـــ ان سرحان كالخفاش لا يغادر بيته الا بعـــد أن تغيب الشمس ».

ـــ واين يسكن ؟

ـــ فى البيت المتهدم المجاور للفرن .

ـــ اى فرن ؟

ـــ الفرن الواقع خلف دكان العم سويلم .

وهمت بأن تسألها عن العلاقة بين زوجها وسرحان ، ولكنها حذرت كل شىء . قال لها سويلم انه سيقتل عرفة يوما وها قد جاء

اليوم ، ابير مجرما ليقتله . . ولكن لماذا لا يقتلها هي ؟ ! انه اعجز من أن يفعل ذلك . . انه يحبها . . يهواها . . يريدها خالصة له .

وتفتحت نفس أم نعيم ، سرها انها غرست في نفس فردوس القلق ، وزاد في سرورها تلك الأفكار التي راحت تتجمع في رأسها حول فردوس وسويلم وعرفة ، ستجد قصة مثيرة تدور بها على بيوت الجيران ، وضاعف من غبطتها ان القصة تروى فضيحة جنسية وهي تشتهي كل حديث يقودها الى الجنس حتى تغرق فيـــه .

وانطلقت أم نعيم تتحدث وفردوس لا تفقه من حديثها شيئا ، كانت مشغولة بالتفكير فيما تفعله لتنقذ عرفة .

— ١٠ —

فاض قلق فردوس بعد أن تيقنت من ان حياة عرفة في خطر ، لقد دفعت الغيرة الشيخ الى أن يكترى رجلا ليتخلص منه ، وراحت الأفكار تتزاحم في رأسها . . كانت تقلب الرأى فيما تفعله لتنقذ الفتى فقد عزمت على الا تقف مكتوفة اليدين .

دار بخلدها أن تجابه سويلم بأوهامها ، تقول له انه اجر سرحان لبغتال عرفة فلا يسعه الا أن ينهار أمام المفاجأة . سينكر ما دبر ويتملص من التهمة ويعمل على تجميد مؤامرته بعد انكشافة أمره . ولكن ماذا يكون الموقف لو اخذته العزة وثار وحطمها فيما يحطم ! ماذا لو القى في وجهها اتهاماته وطلقها وراح يوسع الأرض اذاعة بما بينها وبين الفتى ؟ ! لا . ان محاولة الوقوف

فى وجه سويلم الحاقد الثائر المطعون ليست بالراى . ولكن ما الراى ؟ اتترك الفتى يقتل ؟

وارتجفت وثارت دماؤها حارة فى عروقها وزاد خفقان قلبها ، وراح يهمس فى نفسها هامس يقول : اهون على ان افضح من ان يقتل عرفة . ليت الناس كلهم يعرفون ما بينى وبينه ويترك لى ! .

وراحت تذرع الغرفة وهى مطرقة ، وتدسست الى راسها فكرة الذهاب الى سرحان فى وكره وتهدده بانها على علم بما هو مقبل عليه ، وان حبل المشنقة ينتظره لو اصيب الفتى بمكروه ، ترى ايرضخ مجرم لهذا التهديد ؟ وماذا تفعل لو سخر منها وقال لها انها لا تستطيع ان تشى به لان معنى ذلك وقوفها امام المحكمة واعلان فضيحتها على الملأ . ستقول له انها لن تخشى الفضيحة بعد قتل عرفة ، فلن يكون لها شىء بعده .. واذا لم يخضع لتهديدهما وقتله فماذا تفعل ؟ اتشى به ؟ وما الذى ستجنيه بعد قتل عرفة ؟ .

ـ « لا ، لن يقتل عرفة ، لن اتركه للموت ابدا ، سالتمس من سويلم ان يتركه لشبابه ، واقسم له اننى لن احاول ان اعيده الى البيت او اذهب الى قريتنا ، ايقبل سويلم هذا ؟ ، لن يقبله . انه يشك الآن وحسب ، وانه ليقدم على القتل لمجرد الشك .. وان توسلى اليه سيؤكد اوهامه .. الويل لى ماذا افعل ؟ » .

وراحت تقطع الغرفة جيئة وذهابا وفى وجهها حيرة وفى راسها افكار كثيرة وفى قلبها قلق وخوفة ، وبدا اليأس يتسرب الى كيانها فاستقر رايها على ان تذهب الى سرحان فى وكره وليكن ما يكون .

وارتدت ثوبا اسود فضفاضا واسدلت على وجهها نقابا

اسود ، وانطلقت مأخوذة تحس كأنها تعيش فى غيبوبة ، ولولا ضربات قلبها الشديدة لحسبت انها فى حلم من الأحلام .

وانسابت فى الطريق وقد وسعت من خطوها ، فالمشاعر المتفجرة فى صدرها تدفعها دفعا فى سيرها ، واللهفة على مقابلة سرحان ومجابهة المجهول الذى يترقبها ووضع حد للخوف الذى ينتابها تغريها على التقدم فى حماسة ، وأن تلقى بنفسها فى المعركة .

كانت غاية امانيها أن تخرج منتصرة ، أن تنقذ عرفة دون أن تضطر الى اعلان فضيحتها على الملأ ، انها تعيش الساعة لهذه الأمنية فاذا أخفقت فى ثنى سرحان عن عزمه فليس امامها الا أن تذهب مع عرفة ، مضحية ببيتها وسمعتها ، مشاركة اياه فى الخطر الذى ينتظره ، لن تتركه ابدا يلاقى الموت وحده .

ووصلت الى الفرن فتمهلت وراحت تتلفت زائغة البصر ، وثبتت عيناها على البيت المتهدم بجوار الفرن فكاد قلبها ينخلع من بين ضلوعها وتسمرت فى مكانها برهة ، وطافت بها رغبة فى أن تولى الأدبار ولكنها وأدت ضعفها وتقدمت من صبى صغير وقالت له وهى تشير الى البيت المتهدم :

— أهذا بيت سرحان ؟

فقال الصبى وهو يتفرس فيها فى دهش :

— نعم .

— واين يسكن ؟

— فى أول غرفة على اليمن .

— أهو موجود الآن ؟

— نعم .

— وحده .

ـ اظن ذلك .

ولمت اطرافه شجاعتها ومشت صوب البيت المهدم والصبى يرمقها فى استغراب ، وهبطت فى درجتين وسارت فى دهليز رطب مظلم انبعثت منه روائح روث البهائم ، وبلغت اول غرفة على اليمين فوقفت قليلا حتى تعتاد عيناها على الظلام وحتى تلتقط انفاسها .

وطرقت باب الغرفة فى اضطراب ،ومرت لحظات كلها قلق ، واخيرا فتح الباب ، واذا برجل طويل عريض الكتفين عارى الصدر غزير الشارب يملأ فراغ الباب ويتطلع اليها فى استغراب ، فسرت فى بدنها رعدة ، ولكن سرعان ما قبضت على مشاعرها بيد من حديد .

وظل سرحان ينظر اليها مليا يحاول ان يخترق ببصره ذلك النقاب المنسدل على وجهها ، ثم قال وهو يفسح لها طريقا :

ـ تفضلى .

وتقدمت خافقة القلب ، ودارت بعينها فى المكان فلم تجد الا فراشا قذرا كوم على الأرض ومقعدين من مقاعد المقاهى الخشبية الطويلة العالية ، وذبالة علقت فى مسمار دق فى الحائط .

واغلق الرجل الباب وتقدم وهو يمسح شفتيه بأصبعه كأنما يمسح لعابا سال ، واشار الى المقعد الخشبى السليم وقال :

ـ تفضلى .

وبقيت واقفة منتصبة وقالت :

ـ أنت سرحان ؟

فقال فى زهو :

ـ نعم فى خدمتك .

فقالت في انفعال :

ـــ جئت احذرك من تنفيذ ما اتفق عليه معك سويلم .

فقال لها في انكار :

ـــ من انت ؟

ـــ هذا لا يهمك .

ـــ وما الذى ادراك بما بينى وبين سويلم ؟

فقالت وقداتسعت عيناها وراح صدرها يعلو وينخفض :

ـــ ان اصيب الفتى بمكروه فستقتل .

فضحك فى استخفاف وقال :

ـــ لم يخلق بعد الذى يقتلنى .

وامسكت خصلة من شعرها وقالت :

ـــ اقسم بهذا انك ستقتل اذا قتل عرفة .

فقال فى انفعال :

ـــ من ذا الذى يقتلنى .. انت ؟! عشت حتى رايت امراة تتوعدنى !

واحست انها بدات تملك ناصية المعركة فقالت فى ثقة :

ـــ اذا كان سويلم قد دفعك الى هذا بماله فانا استطيع ان اغرى رجالا على قتلك بنفسى ، ما اكثر الذين يتطوعون لقتلك لقاء ليلة معى ! .

وصمت كانما القم حجرا ، وراح ذهنه يعمل فى سرعة ، فاحصن طلائع هزيمته ، ورأى أن يستغل الظرف ليقلب اندحاره نصرا فدنا منها وقال وهو يبتسم فى خبث :

ـــ انا على استعداد ان اقبض الثمن الآن وان انقض اتفاقى مع سويلم .

ومد يده ليجذبها اليه ويضمها الى صدره ، ولكنها دفعته فى قوة فقال فى حنق :

ـــ اترفضين ؟

ـــ نعم .

ـــ لماذا ؟ مادمت على استعداد لدفع الثمن ؛ فما الفرق بين أن تدفعيه لى أو تدفعيه لغيرى .

ـــ لاننى لا اثق فيك .

ـــ اقسم لك أننى سأنفذ اتفاقنا .

وعاد اليها مرة اخرى ليضمها اليه فدفعته فى شدة وهى تقول :

ـــ حذار ان تدنو منه .

فقال فى غضب :

ـــ اذن سيقتل ، ولن احرم رجلا من ان يقضى ليلة معك .

فقالت وهى تتجه الى الباب وتفتحه :

ـــ لن تقدر .. لن تستطيع .

وخرجت وهى تعجب من نفسها .

ـــ ١١ ـــ

استيقظ عرفة فى البكرة وارتدى ثيابه وجعل يغدو ويروح فى الغرفة يتمجل الزمن ، ويرنو الى حقيبته الصفراء والصرة الموضوعة على الكنسول فيمتلىء نشوة ؛ فلن ينقضى اليوم حتى يكون بين أمه وأبيه واخوته .

وجلس على حافة فراشه وشرد ذهنه ؛ فراى نفسه بعين

خيـاله يقـدم لامه قطعة القماش السوداء التى اشتراها لها فيفيض وجهها بشرا ، ويعطى لاخوته الذين التفوا حوله اللعب الريفية البسيطة المتواضعة التى خططت بالأحمر والأبيض فيتعالى صياحهم فرحا ، ويهدى لأبيه سبحة سوداء فيدعو له بالهداية . وسرت الحماسة فى صدره فنهض وعاد يذرع الغـرفة جيئة وذهابا .

وجاءت فردوس تدعوه لتناول الطعام فألفته قد ارتدى ثيابه وتاهب للسفر فانقبضت ، ساءها لهفتـه على الذهاب ، انه لا يريدها .. لايحس بها .. يتعجل اللحظات لينطلق ، انه سينساها .. لن يذكرها بينما هو فى خيالها لا يريم . وقالت فى مرارة :

ـ لماذا هذه العجلة ؟ الساعة الآن السابعة ولن يتحرك القطار قبل العاشرة .

ـ احس شوقا طاغيا الى أهلى ، ليتنى اذهب الآن .

واستولت عليه فكرة الخروج فاتجه الى حقيبته يحملها ، فقالت له :

ـ ماذا تفعل ؟

ـ انى ذاهب الى المحطة .

ـ لا زال أمامك ثلاث ساعات ،أتقضثلاث ساعات تنتظر القطار ؟ !

فقال وهو يبتسم :

ـ لن أضجر أو أتململ ، سأكون راضيا ما دامت رحلتى قد بدأت .

فقالت وهى تملأ عينيها منه :

ـ نعال أفطر ثم افعل ما تريد .

وسار غرفة الى حيث وضعت الطبلية ، وسارت فردوس

خلفه وهي منقبضة يملأ جوفها قلق وخوف وحزن وانكسار ، ووقعت عينا عرفة على سويلم الجالس الى الطبلية تحيـــاه وجلس ، وجلست فردوس وهي مشغولة بالافكار التي اخذت تتدفق الى راسها والمشاعر التي راحت تزحف من هنا وهناك ويضيق بها صدرها .

فكرت في ذهاب عرفة الآن فحبذته، فذلك يضيع على سرحان فرصته ، اذا كان ما زال مصرا على أن يصرع الفتى . انه سيتربص له قبل موعد القطار بقليل ، فاذا ما انطلق الساعة فسيفلت من قبضته ، وقررت أن تغرى عرفة بالذهاب فقالت لزوجها :

ـــ عرفة يريد أن يذهب الآن .

فقال سويلم دون أن يرفع راسه :

ـــ لا ، قلت لعليوة ان يجهز « الكرتة » ليوصله الى المحطة .

فقال عرفة :

ـــ بتشكر يا عمي ، ولكنني افضل الذهاب الآن على قدمي

فقال سويلم وهو يجاهد أن يبدو هادئا :

ـــ الجو شديد اليوم .

فقالت فردوس وهي تنظر في قلق :

ـــ ما زلنا اول النهار .

فقال سويلم وهويمد يده الى الطعام :

ـــ لا احب أن يصطاب بضربة شمس في اليوم الذى سيعود فيه الى أهله .

وهمس في نفس فردوس هامس يقول : ولكنك تحب أن يصاب بطلق ناوى والا يعود الى أهله .

وساد الصمت وشغل كل منهم بأفكاره عن كل ما حوله ، كانت فردوس تفكر فيما تفعله لو عاد عليوة وقال ان عرفة قد

قتل . اتهم زوجها بقتله ؟ وماذا ستجنى من هذا الاتهام ؟ ستخسر عرفة والزوج معا ، واذا اقفلت فمها ولزمت الصمت فكيف تعيش مع رجل تعرفة انه قاتل ، وقاتل من ؟ عرفة .

ووسوس فى جوفها صوت يقول : وهو .. كيف يعيش معى فى بيت واحد وقد لوثت شرفه ؟

وهب صوت آخر يصيح فيها : لا ، انه بشك وحسب ، انه ليس على يقين ، فلو انه راى شيئا لما بقى معى لحظة ، أما انا فاننى واثقة من انه هو المحرض على قتل الفتى .

وخطرت لها فكرة أن تنهض وترتدى ثيابها وتنطلق مع الفتى الى المحطة تحميه ، ولكنها فطنت الى أن سويلم لن يوافق على ذهابها ، سيسفه رغبتها ويرفضها رفضا . وظلت فريسة للأفكار المتباينة الزاحفة الى راسها دون انقطاع .

وشرد سويلم بخياله وتمنى لو أن عرفة سافر ليلا ، اذن لكان قتله أيسر ، ولكنه اخذ يطمئن نفسه أن سرحان لا يأبه بليل أو نهار ، انه ماكر يقتل فى الظهيرة ويروغ كالثعلب .

واختلس نظرة الى الفتى الذى حكم عليه بالاعدام ، فاذا بغضبه يتحرك ودماؤه تثور ومقته يسرى فى عروقه كالصديد ، وتعفنت روح الشيخ فلم تنبت فيها خردلة من شفقة .

وظل عرفة متهلل الأسارير .. انه يرى أمه وهى تضمه الى صدرها الحنون ، وأباه يربت على ظهره ، واخوته يلتفون حوله يصغون اليه وهو يسرد عليهم حياة البندر . ويرى الطرق الضيقة الحبيبة الى نفسه ، والحقل والساقية ورفقاء صباه وحمرة الشفق ساعة الغروب .

كانت نفسه مسرحا لحنين رقراق ظاهر ، وحنان ملائكى

لا يدنسه رغبة جامحة ولا لهفة على فتاة من فتيات القرية اللاتى كن يشاركنه لعبته المفضلة ، فقد كان غارقا فى الجسد يهفو الى غذاء روحى بعد أن نضبت ذخيرته من أحاسيس الحب العفيف .

وانتهوا من أفكارهم وعاد عرفة الى غرفته ينظر الى حقيبته وحسرة الثياب فى شغف ، تراوده فكرة أن يحملها وينطلق ، ولكنه كان يعتصم بالصبر حتى لا يغضب الشيخ فى آخر يوم له فى بيته .

وراح الوقت يمر وئيدا وئيدا ، وكل من عرفة والشيخ وفردوس يتعجل مروره ليقضى على التوتر الذى يعيش فيه ، وأخيرا ارتفع رنين جرس « الكرتة » فتفحت نفس عرفة فرحا ، وانقبض صدر الشيخ ، وانخلع فؤاد فردوس هلعا وكاد يفلت منها زمام أمرها وتند منها صرخة .

وأسرعت فردوس الى غرفة الفتى تودعه وقلبها يرفرف بين ضلوعها كجناح حمامة ، وقابلته وهو مقبل وقد حمل حقيبته وحسرته فاستشعرت رغبة مستبدة تغريها بضمه وتقبيله ، ولكنها قاومت تلك الرغبة وقالت فى صوت متهدج تخنقه العبرات .

ـــ مع السلامة .

وافسحت له الطريق ووقفت ترنو اليه من خلال دموعها التى انبثقت ملأ مآقيها ، ولم تعد ترى شيئا فمسحت عبراتها بظهر يدها ، ورأته وهو يتجه الى باب الشقة فأسرعت اليه وهمست :

ـــ الا تودع العم سويلم ؟

ووضع الحقيبة على الأرض وانطلق الى غرفة الشيخ ، وقال وهو يمد له يده مصافحا :

ـــ عن اذنك يا عمى ، القاك على خير .

To: www.al-mostafa.com

وصنائع الشيخ الفتى فى فتور وهم بأن يقول له : « مع السلامة » ، ولكن حرارة مقته صهرت الكلمات فتبخرت على شفتيه ، ولم يفطن عرفة الى وداع الشيخ الفاتر ولم يأبه به ، وعاد مسرعا ليحمل حقيبته .

ومر بفردوس وهو يكاد لا يحس بها ، وحمل حقيبته وسار واذا بفردوس تسرع وتفتح له الباب ، وما أن يخرج منه حتى تتبعه وتجذب الباب خلفها وتخف اليه وتقبله قبلة خاطفة وتقول :

ـــ مع السلامة .

وطفق عرفة يهبط فى السلم خفيفا يحس احساس السجين الذى يغادر سجنه لأول مرة ، ووقفت فردوس عند رأس السلم تنظر اليه وفى قلبها لوعة وفى نفسها حسرة وفى عينيها دموع ، ولم تستطع أن تكبح جماح عواطفها فراحت تنشـــج بصـــوت مسموع .

ووضع عرفة حقيبته وصرته فى « الكرتة » وقفز الى جوار عليوة خفيفا ، وملأ رئتيه بالهواء ثم زفره فى راحة وقال ليطمئن نفسه :

ـــ الى المحطة .

وانسابت « الكرتة » صوب المجهول .

وعادت فردوس الى حيث كان ستوبلم ، كان القلق باديا عليها تطرق ثم ترفع رأسها وتتلفت وتأخذ فى التململ ، ولا تلبث أن تنهض وتغدو وتروح فى الحجرة دون أن تفعل شيئا ، ثم تعود لتجلس وتطرق وتتلفت ، ولولا انشغال الشيخ بالأفكار الطاغية التى تتدسس الى رأسه والمشاعر القاسية المزمجرة فى ذاته لفطن الى اضطرابها .

ولم تطق المكث فى الغرفة فقامت وانطلقت الى غرفة لها

شباك على الطريق وراحت تنظر من خلاله شاردة ، وقد نبتت فى راسها هواجس كثيرة . راحت تتساءل عما تفعله اذا عاد عليوة وصاح ان عرفة قد قتل . اتجرى فى الشارع محلولة الشعر تصيح كالمجنونة ؟ اترتدى عليه ثياب الحداد ؟ اتقول لزوجها انها تعلم انه هو المحرض على قتله ؟ اتنتقم لعرفة وتقتل سويلم ؟ اتنفذ وعيدها لسرحان ؟ لقد اقسمت بخصلة من شعرها أن سرحان اذا أصيب الفتى بمكروه ، فاين ذلك الرجل الذى يقدم على قتل سرحان لقاء ليلة معها ؟ ! .

واحست أن سرحان سيسخر من تهديدها فتقاصرت نفسها واحست رهبة تكاد تكتم انفاسها ، ولكن ايقدم سرحان على القتل بعد أن تيقن أننى أعرف نواياه ؟ الا يخشى أن يدفعنى اليأس الى البوح بكل شىء ؟ آه لو ركب سرحان راسه وركبت راسى ! .

واحست حركة خلفها فالتفتت فرأت سويلم قد اقبل شاردا وذهب الى الشباك والقى نظرة فاحصة على الطريق ، فقد جاء يتفسم الاخبار مثلها ، وكلاهما كانت آماله معلقة بعودة عليوة وان تباينت الآمال كل التباين وتنافرت الرغبات .

وساد بينهما صمت قاتل ، حتى كان كل منهما يخشى أن يسمع الآخر دقات قلبه وصوت انفاسه ويقرأ ما فى نفسه من مشاعر وافكار ، وراح الزمن يسير سير السلحفاة فيزيد من الآلام الجاثمة على صدريهما ، ويوسع فى هوة الهلع التى حفرت فى اعماقهما .

وارتفع رنين جرس « الكارتة » فذهبت نفساهما شعاعا واتسعت عيونهما رعبا وانبهرت انفاسهما ، واحس كل منهما انه يكاد أن ينهار .

ووصلت الكارتة الى البيت ، ولم يتحرك سويلم اطرافة فتجامدت واطل

من الشباك وهو يحمل نفسه على ذراعيه حملا ، وقال في صوت اجش مضطرب :

ـــ هية يا عليوه ؟

ورفع عليوة رأسه وصاح في صوت هادىء :

ـــ رصلته بالسلامة ! .

وتبخرت مخاوف فردوس وزحف الاطمئنان في جوفها ، ثم راحت فرحة تعربد في اعماقها ، ولم تقو على كبت مشاعرها فذهبت الى زوجها تضمه وتقبله .

وابعدها سويلم عنه في عنف ، ووقفت فردوس ترقبه وعلى شفتيها بسمة واساريرها منبسطة ، فقد سرها نجاة عرفة وانتصارها على سرحان . وتدفقت الدماء حارة في عروق الزوج وعصفت به ثورته ، فاذا به يمد يده الى كرسي قريب ويرفعه ثم يهوى به على راس فردوس ، وترنحت فردوس وسقطت على الأرض ، والكرسي يرتفع في الهواء ليهوى عليها . واستمر سويلم يضرب ويضرب ويضرب حتى صارت الفاجرة جثة هامدة ، وهو مستمر في ضربها دون أن يحس مما يفعل شيئا .

واحة الخيال

عزيزى خيرى :

هذه الرسالة ليست بنت اليوم .. راودتنى منذ ذلك اليوم . كنت ادخل غرفتى واغلق علىّ بابى وانهيا للكتابة ، ولكنى كنت كلما جلست الى القرطاس لأبثك لواعج نفسى احسست خجلى يقوم حائلا بينى وبين تسطير ما أحس ، فما كان لفتاة ان تبعث الى شاب لا يعرف عنها شيئا — وان كانت تعرف عنه كل شىء — برسالة تشكو له فيها ما تقاسى من وجد ..

ظل ذلك الخجل يقهرنى حتى ليلتى هذه ، فقد دخلت الى فراشى بعدان اطمأننت الى عودتك من مقهاك ، وحاولت النوم ولكنى أرقت ولم تغمض لى عين ، وتقلبت فى فراشى كأنما انقلب على جمر ، فقد تآمر علىّ خيالى فأحضر صورتك أمام عينى فى شكول تؤجج النار فى الفؤاد ، فطفقت احساسات الحب فملأت صدرى حتى كادت تكتم انفاسى ، فلم أجد لها منفسا الا أن اقوم فى هجعة الليل لأسكب شواظ القلب على رسالة ابعث بها اليك ، لعل نارى تبرد وقلبى الذى اضناني يهدأ والخيال الشارد السارح بجناحيه ، فيدثر نفسى القلقة الثائرة هدوء وان كان هدوءا الى حين ..

رايتك يا حبيبى أول مرة بعد ظهر يوم لن انساه .. كنت ذاهبة الى طبيب الاسنان وكنت عائدا من عملك ، فما وقعت عيناى عليك حتى تملكنى احساس غريب ، شعرت بروحى تهفو اليك ، وانطلقت فى طريقى وما ابعدت خطوات حتى تلفت خلفى برغمى لأمتع العين برؤيتك ..

وانتهت زيارتى للطبيب وعدت الى البيت ، فجلست فى الشرفة استروح نسيم الاصيل ، وفجأة شعرت كأن جناح حمامة يخفق فى جوفى .. كان قلبى يضطرب . رأتك عيناى وانت مقبل من دارك منطلق الى الميدان ، فقفز قلبى فى سرور الولهان ..

تبعتك بعينى مضطربة النفس ، حتى اذا اختفيت عن ناظرى ظل قلبى يتبعك ، وانقضى النهار واقبل المساء وانا افكر فيك . وجاء اوان مغادرتى الشرفة وتحركت لادخل الى غرفتى ، ولكن لم يطاوعنى قلبى ، لم يشأ أن يغادر الشرفة قبل أن يطمئن الى أوبتك . مرت من الليل ساعات وانا جالسة ارصد الطريق ، فاذا لمحت شبحا قادما حسبته أنت فتسرى فى بدنى رهبة لذيذة ، وطال مكثى وما تسرب الملل الى فقد كنت مفعمة بالنشوة ، لانى ارقب عودة رجل خفق له القلب ..

علمنى حبك يا حبيبى أن الظلام مرتع خصب للخيال ، وراحت الأوهام تنمو فى فكرى وتزدهر فى نفسى ، فتنتشى روحى ويرضى فؤادى . وفجأة اشتد وجيب قلبى .. رأيتك فى حلكة الليل قبل ان تميزك عيناى ، وبقيت اتبعك بنظرى حتى اختفيت ثانية فى الظلام ، فغادرت الشرفة وانا احس خفة وانشراحا .

صارت الشرفة ماواى ، فى الصباح اهرع اليها لاستجلاء

طلعتك ، وفى الظهر انتظر عودتك ، وعند الاصيل ارقب خروجك الى مقهاك ، اما الليل فكان مسرح الاحلام ..

فكرت مرة فى ان اتبعك لعلى استطيع ان الفت نظرك الىّ ، فارتديت ثيابى قبل موعد خروجك عند الاصيل ، ووقفت فى شرفتى تلقة تتجاذبنى خواطر متضاربة تترجح بين الاقدام والاحجام ، ولمحتك قادما فاندحر ترددى ، ووجدت نفسى اهرول وانطلق كانما كنت واقعة تحت تأثير منوم مغناطيسى ، وهبطت الدرج قفزا ووصلت الى الطريق وقلبى فى حيرته واضطرابه ، واحسست رهبة تسرى فى من قمة رأسى الى اطراف اصابع قدمى .. مشيت فى بدنى رعدة وتدفق الدم حارا الى وجهى ، وتلفت بعيون زائغة فالفيتك تسير امامى ، فانفذت سيرى حتى اذا اقتربت منك ضيقت من خطوى كان قوة خفية ارغمتنى ، وتبعتك على البعد كانما كنت منجذبة اليك ، حتى اذا لمحتك تدخل مقهاك وقفت اديم اليك النظر وانا بعيدة ، ثم عدت راضية من حيث جئت .

وفى يوم تقابلنا وجها لوجه ، ولا اكذبك القول فاقول انها مجرد مصادفة ، فما احب وانا اعترف لك بحبى ان اكذب عليك ، كانت هذه المقابلة ثمرة تدبير فكرت فية ليالى وأياما ، يا طالما قابلتك فى الحياة وهممت ان ابتسم لك كما فعلت فى الخيال ، حتى جمد وجهى وعز على الابتسام ، فكرت فى ان ادعوك .. ان اهتف باسمك ، وفتحت فمى واطبقته ولم ينبعث منه صوت ، تحطمت الالفاظ على شفتى فعدت الى البيت حانقة على نفسى ، وثار قلبى علىّ فاخذ يخزنى وخزا ما اقساه !! ..

ومرت علىّ ليلة ليلاء .. ليلة لن انساها ما حييت ، جلست

فى الشرفة ارقب عودتك وكان الظلام يرخى ستوره السود والسكون يسيطر على المكان ، فراح خيالى يرتع حرا طليقا ينعم باعذب الرؤى والطف التخيلات ، ومر الوقت ووافى ميعاد اوبتك فأرهفت منى الحواس ، وجعلت اتفرس اشباح الغادين الآطمئن الى عودتك ، وانقضت ساعة ثم ساعة ولم تقع عليك عيناى ، فتحرك قلقى وثارت نفسى واستولى على ضيق ، وزاد فى كربى ان هجس فى صدرى هاجس جرح روحى راح يوسوس لى انك تنعم اللحظة بحبيبة الفؤاد اذ كنت انتظرك وقد اندلع فى جوفى نار .

تحركت عقارب غيرتى وراحت تاسعنى لسعا ، واحسست جمرة نار فى حلقى وعبرات تخنقنى وحنقا يلفنى ، وتمنيت بكل جوارحى ان تعود الأنجو من ذلك العذاب . ولكن الوقت راح يمر ولم تلمحك عيناى ، فخطر لى ان انسل فى هدوء الليل الى مقهاك انقب عنك حتى استريح من حواسى التى تآمرت على ، ولكنى جبنت عن تنفيذ ذلك الخاطر الذى طفق يلح على بؤازره القلب الواله الحيران ..

وبرد الجو وصفرت الرياح ، فمشت فى جسدى قشعريرة لم التفت اليها .. كنت شاردة فى تيه الخيال غارقة فى بحور الأفكار ، واشرف الليل على الانقضاء وانا فى مكانى ، واخيرا انسللت من الشرفة محطمة النفس مهيضة الجناح .

واشرقت الشمس وتسللت الى غرفتى ، وما ان فتحت عينى ورايت الضياء حتى شعرت بخوف يسرى فى صدرى خشيت ان يكون ميعاد خروجك الى عملك قد انقضى وكتب على الا تكتحل عيناى ذلك اليوم برؤيتك . همت بالنهوض لأغادر فراشى وانطلق الى الشرفة ، واكنى شعرت بثقل فى جسمى عاقنى عن النهوض .

فتحسست جبهتي بيدي فألفيتها تكاد تتصهر .. لقد سقطت فريسة للحمى وما فطنت الى هذه الحقيقة حتى ارتجفت ، لم ارتجف لمرض بل خشية أن أهذي باسمك فيتبدى مكنون نفسي ، وينفضح سر قلبي الذي ائتمنت عليه ضلوعي وطويت عليه صدري ..

ولازمت الفراش وراحت الدقائق واللحظات تمر وئيدة بغيضة ، وعادني طيفك في ساعات صحوي فأنعش روحي وأرضى فؤادي . وفي يوم من أيام مرضي لججت في التفكير فيك ، واخذت اناجيك حتى غلبني النوم فرحت في سبات ، وفيما أنا غارقة في نومي رأيت كأنما أنا وأنت في حديقة رائعة تفتحت أزهارها وغنت أطيارها ، نخطر خدما على زرع أخضر بهيج ، وقد انسدل شعري على كتفي فأخذ النسيم يداعبه ، وأنت ترنو الي في عطف ..

ولمحنا نهرا فهرولنا اليه مسرورين حتى اذا بلغناه الفيناه من لجين ، ورجدنا زورقا رائعا زين بالزمرد والياقوت لنتثر فيه الورد والياسمين ، فركبنا فيه وأخذنا نجدف في البحر العجيب ، وقد سرى صوت سماوي أخاذ يغني بأعذب الألحان فعبث بقلبينا ، فملئنا نشوة وفاضت سعادتنا فالتصق راسانا ..

والتفت الي وفي عينيك حبه ، ولفت ذراعيك حولي وضممتني اليك ، ولم أستطع أن أحتمل السعادة التي كنت فيها فاستيقظت خافقة القلب مرهفة الاحساس ، وما ان هدأت مشاعري حتى أخذت افكر في حلمي اللطيف ، منشرحة الصدر راضية النفس قريرة العين ..

وكأنما كان ذلك الحلم الحبيب البسم الشافي لمرضي ، فما اشرقت شمس النهار حتى ابللت مما كنت أقاسي ولكني لم أبرأ من حبي ، فما ملكت قواي حتى هرعت الى الشرفة خافقة الفؤاد ارقبك في الغدو والآصال ، وطغى حبي وفاض فلم يعد يسعه جوفي ولم

يعد يقنـــع بســـبحات الخيال ، وطمـــع فى أن يفمـــر الحبيب بالاحساسات الفوارة ..

اننى اكتب اليك وليس لى على نفسى سلطان ، قهرنى حبى وتمرد على قلبى واستبد بى وارهقنى حتى ارغمنى على أن اكتب اليك ، فنزلت على حكمه مقهورة وان كان فى ذلك طعنة لكبريائى فجلاء ..

القلم يرتجف بين اصابعى ، وقلبى يطفو ويغوص ويملى على كلمات ، والعرق البارد ينبثق من جبينى . ليتنى استطيع أن اعصى ما يأمر به قلبى ولكن هيهات ، فما هى ذى يدى تسطر ما يمليه الفؤاد .

سأنتظرك عند محطة الترام فى الميدان فى الساعة الخامسة من مساء يوم الخميس ، ولن اذكر لك عنوانى حتى لا تعتذر اذا كنت لا تستطيع أن توافينى فى ذلك الميعاد ، فانى أريد أن احيا الأيام وأنا سعيدة بداعبنى أمل لقياك ، والى ذلك اليوم الرتقب أتمنى لك ولنفسى أسعد الأحلام ..

(فتحية)

وطوى خيرى الرسالة وهو نشوان يحس خدرا لذيذا ، فما دار بخلده أن هناك من تحبه هذا الحب العارم الجبار . كانت حياته محتبة قبل أن تصل اليه هذه الرسالة الحارة فما كان ممن يتفيئون ظلال واحه الخيال . كان يضرب فى صحراء الحياة محدود الآمال ولكن ما ان قرأ هذه الرسالة حتى تنبهت بصره وفتحت فى رأسه ابواب التصورات .

راح يفكر فى فتحية ومن تكون وما شكلها ، وتفتق ذهنه فراح يجلب له ممثلات السينما الحسان ؟ فيستعير لفتحية من هذه قوامها .. ومن تلك نضارتها .. ومن ثالثة عينيها الفجلاوين ..

ومن رابعة صدرها الفاتن الرائع ، واسترسل فى تخيلاته حتى تجسمت فتحية فى ذهنه نموذجا للحسن والجمال ..

وخرج الى الطريق وسار يتلفت يمينا ويسارا ، وفوق وتحت ، ويتفرس فى الشرفات .. فلمح اكثر من فتاة جذابة تصلح ان تكون صاحبة الرسالة النابضة بالحب والحياة ، فطفق يوزع ابتساماته هنا وهناك لعل ابتسامة منها تكون من نصيب فتحية فتنزل السكينة بالقلب الولهان ..

وخطر له أن يحيى من فى الشرفات الممتدة على جانبى الطريق بكلتا يديه كما يفعل الزعماء والأبطال ، فابتسم لذلك الخاطر الساخر الذى اقتحم عليه خياله فى هذه اللحظة الحاسمة من لحظات حياته ، لحظة التنقيب من الجميلة التى فتحت له قلبها قبل ان يطرقه ، ووهبت له السعادة والحب ..

انطلق وهو يحس كأنما بعث خلقا جديدا .. انه محبوب وما اسعد ان يكون المرء محبوبا ، وتدفقت فى عروقه دماء حارة ما احس حرارتها قبل يومه ، وسرى فى صدره امل حلو انعشه واحيا نفسه من الموات ..

ولمح فى شرفة من الشرفات فتاة جذابة ممشوقة القد دقيقة الخصر ، تهدل شعرها الكستنائى المتموج فأخفى فى دلال جزءا من وجهها الحلو الناصع البياض فزادها حسنا ، وبدت ذراعاها البضتان كأنما خرطتا من الشمع ، فخفق قلبه لجمالها الآسر الذى يلعب بالقلوب ويعبث بالرجال ..

وقف يرنو اليها مذهولا ، وبقى مدة ثم انتبه الى نفسه وراح يتلفت حوله ، فرأى رجلا مسنا ابيض الشعر ضئيل الجسم محدودب الظهر جذب حسنها عينيه ، فراح يتفرس فى جمالها ويتلفت نحوها كلما خطا فى الطريق خطوات ، فابتسم خيرى

بزهوا ، فجمال من احبته سبى الرجل الفانى وجعله يتلفت وفى عينيه اعجاب ، كشاب فوار الحماس ..

وشرق وجهه بابتسامة عذبة ومرر يده على شعره تحية ، فخيل اليه انها ابتسمت له ومدت يدها تصلح شعرها المتهدل ، فانشرح صدره وصدق ما حزره قلبه ، انها هى بعينها فتحية .. فتحية التى بعثت اليه برسالتها الحارة ترد على تحيته بتحية مثلها .

وسار فى طريقه وهو نشوان . سره انه اهتدى الى فتحية ووجدها نابضة بالحياة كرسالتها ، ووسع فى خطاه فقد دب فيه نشاط غريب ، وما أن بلغ الميدان حتى احس رغبة فى أن يعود ويتطلع الى فتحية ، فدار على عقبيه وقفل عائدا من حيث جاء ، فلما لاحت له الشرفة ظلت عيناه متعلقتين بها وانداح فى صدره خدر لذيذ ..

ودنا من الشرفة فخفف من خطوه ورفع راسه وراح ينقل فيها عينيه ، وقد تحرك فى جوفه اضطراب شهى ، كانت شفتاها ممتلئتين مغريتين ووجنتاها فى لون الورد وعيناها آسرتين ساحرتين ، فانبعث من عينيه بريق أخاذ ، وسار الهوينى وهو يتلفت حتى اختفت الشرفة عنه ..

وعاد الى داره فاسترخى فى مقعد وثير ، واخرج الرسالة ونشرها وراح يعيد تلاوتها فغمرته نشوة أعظم من النشوة التى غمرته أول مرة ، انه يرى الآن بعين خياله فتحية بشعرها الكستنائى المتموج ، ووجهها الحلو الصبيح ، توجه اليه خطابها فتنتشله من دنياه المحدودة لترفعه الى عوالم رحيبة من السعادة والهناء ..

وضع الرسالة على ركبتيه واطلق لخياله العنان ، فراى نفسه وفتحية فى تلك الحديقة البديعة التى رأتها فى منامها وهما يهرولان الى النهر الرقراق ، ثم يتجهان الى الزورق الرائع ويركبان فيه

وينطلقان ليسبحا فى عالم السعادة ، وقد اسند رأسه الى رأسها . واسترسل فى تخيلاته فألقى نفسه يضمها الى صدره فى ونه ويمطرها بقبلاته الحارة ، فأحس وهو فى مقعده بنشوة عارمة . .

وتبدل خيرى . . دب فيه نشاط بعد خمول واستيقظت حواسه بعد سبات ، وسبح خياله مهام فى سماوات التصورات بعد ان كان مشدودا الى الارض ، وصار يعتنى بهندامه يقف أمام المرآة دقيقات ، وما كان يرتدى جاكتته الا وهو هابط فى الدرج لا يلوى على شىء .

وراح يحيا على الأمل يعد الدقائق والساعات ، يرصد يوم الخميس فى قلق ورجاء . وما انبلج صبح ذلك اليوم الموعود حتى فتح دولاب ملابسه ، وأخذ يتفرس فى حلله يقلب هذه ويفحص عن تلك ، حتى اطمأن الى حلة رمادية جذابة فتناولها ، ونادى الخادم الصغيرة يأمرها أن تذهب بها الى الكواء .

واتجه الى حيث يضع أحذيته وانتقى منها حذاء وضعه فى عناية بالقرب من المشجب ، ثم ارتدى ملابسه وخرج الى الطريق وسار نشيطا ، حتى اذا بلغ الشرفة لم يجد بها أحدا فانقبض وتريث قليلا لعلها تقبل فيبتسم لها ، مؤكدا انه سينتظرها فى الموعد المضروب . . ولكن مرت لحظات دون أن تغد الى شرفتها فانطلق وهو يحس ضيقا ، لكن سرعان ما انقشع ضيقه فقد خطر له انها تتأهب للقاء الذى يهفو اليه قلبها . .

وذهب الى عمله وهو جذلان ، راح يداعب زملاءه طلق الوجه ولم يستطيع أن يطوى صدره على سره ، فأخذ يقص عليهم قصة الفتاة الفتانة التى أحبته وبعثت اليه تلتمس منه أن يوافيها اليوم لتطفىء لهيب الغرام ، وأرضى ذلك الحديث غروره فجعل يحدثهم عما سيفعله بعد اللقاء .

وانقضى ميعاد العمل فى الديوان فاسرع بالعودة وهو فرحان ، وما بلغ أول الطريق الذى يقطن فيه حتى سرى فى جوفه قلق لذيذ ، ومد بصره الى شرفتها فلمحها فرتص قلبه سرورا ، وأخذ السير حتى اذا اصبح تحت شرفتها رفع رأسه وافتر ثغره عن ابتسامة ، فخيل اليه انها تبادله الابتسام ، فسار الى بيته وهو هيمان ..

وجلس الى طعامه ، وما ان ازدرد لقيمات حتى عافت نفسه الطعام . كان شارد اللب مشغولا بما يجرى فى رأسه من رؤى وتخيلات ، فنهض وغادر السفرة ، وذهب الى مقعد طويل تمدد فيه وأرخى لخياله العنان ..

راح يفكر فيما سيفعله عند اللقاء ، فرأى أن يذهبا الى مصر الجديدة ، ثم يستقلا سيارة الى كازينو مونترو الضارب فى صحراء الماظة لينعما بالهدوء وهواء تلك المنطقة الجافة . واستراح الى تلك الفكرة ولكن سرعان ما قفزت الى رأسه فكرة أخرى .. انها رأت فى منامها أنهما يذرعان حديقة بديعة ثم انطلقا الى زورق راح يتهادى بهما فى نهر سماؤه رقراق ، فلماذا لا يحقق لها فى الحقيقة ما رأته فى المنام ؟

واطمأن الى ذلك الخاطر الجديد ، فقر رأيه على أن يذهبا الى قصر النيل بجوستان خلال حدائق الجزيرة كفراشتين طليقتين ، ثم يركبان زورقا من الزوارق المنتشرة هناك ، يخطر بهما فى النيل عند الأصيل ، فيمتعان الطرف بمشاهدة الغروب الفاتن الذى يملأ النفوس بالجلال ..

وأخذ الوقت يمر وهو غارق فى بحور النشوة المستمدة من الخيال ، ودقت ساعة الحائط الرابعة فأحس رنينها فى نفسه .. ارتفعت دقات قلبه وأرهفت مشاعره وزحفت الى صدره رهبة

وقام يتاهب للانطلاق للقاء ، فذهب الى المرآة وقرب وجهه وراح يتفرس فى صقالها ، فالفى شعرة نابتة فى خده فجذبها بالملقاط ، ثم اخذ يرجل شعره اللامع ، وارتدى قميصا ابيض هفهافا ، وتناول رباط عنق جذابا وراح يعقده فى حرص ، ومد يده الى العقدة يتحسسها فى رفق ليزيل ثنية خفيفة فى طرفها ..

وتناول حلته الرمادية فى حرص بالغ ، ثم ارتداها ، واخذ يصلح من هندامه ويمد يده الى المنديل المندلى من جيبة يرفعه قليلا ثم يخفضه قليلا ، ثم يعود ليرفعه .. حتى اذا استراح الى وضعه تنهد خطوة وجعل يفحص عن صورته فى المرآة .

واخذت اللحظات تمر فى بطء ، فطفق يذرع الغرفة صاعدا هابطا وقد سيطر عليه اضطراب مشوب بلذة ونشوة ، وخطر له ان يقرأ رسالتها فمد يده واخرجها ، وراح يقرؤها خافق القلب مرهف الحواس ..

ونظر الى الساعة فالفاها الرابعة والثلث ، فتململ فى ضيق ، واتجه الى الشرفة ووقف يستنشق الهواء ، ولكنه لم يطق ان يبقى فيها طويلا فدخل يتطلع الحجرات جيئة وذهابا فى حيرة واضطراب ، واستقر رأيه اخيرا على مغادرة الدار فراح يهبط فى الدرج متمهلا حتى يحافظ على رونق حلته .

وسار يتهادى ، حتى اذا بلغ شرفتها زاد وجيب فؤاده ، ورفع عينيه فلم يجدها فسرت الطمأنينة فى صدره ، انها الآن امام المرآة تتاهب للقياه . آه لو تدرى لاسرعت بالهبوط لينعما باسعد الاوقات ! وبلغ الميدان فوقف عند محطة الترام يمد بصره الى الطريق الذى ستقبل منه فتحية بقامتها الممشوقة ، ووجهها الحلو الصبيح الذى تزينه عينان صافيتان رائعتان ،وفم فى لون العقيق يغرى باللثم والعناق ..

ونظر فى ساعته فارتفع نبضه وزاد خفقان قلبه وسرى الدم حارا فى عروقه ، ان هى الا عشر دقائق ثم تقبل فتحية بذاتها اللطيفة . يا طالما حادثها فى الخيال ارق حديث ، وان هى الا لحظات حتى يناجيها فى الواقع الملموس الذى يفوق سحره سحر الخيال اعذب مناجاة ، وراح يغدو ويروح على الطوار ، وعيناه ترقبان منفذ الطريق الذى ستقبل منه الفتنة والاغراء . .

ووقعت عيناه وهو يتلفت على فتاة مقبلة نحوه . انها تبتسم له وان ابتسامتها تتسع وتتسع ، فرمقها فى دهش فما كان يحسب ان تبلغ الجراة بفتاة ان تغازل شابا مثل هذه المغازلة المفضوحة ، ودنت منه وهمست :

ـــ لقاء سعيد يا خيرى بك . .

ومدت يدها تصافحه ، فاحس راسه يدور وقلبه يغوص فى قدميه وضيقا ينتشر فى صدره . انها فتاة سمراء مفلفلة الشـــعر واسعة الفم جاحظة العينين ، انفها اقرب لانوف الزنوج ، وقد انتشرت فى وجهها بقع سوداء زادت فى دمامتها .

وهمس فى صوت مفزوع :

ـــ فتحية هانم ؟ !

فانفرج فمها الواسع عن اسنانها الصفراء ، فوقف مذهولا لا يدرى ما يفعل بعد ان انجلت لعينيه الحقيقة البشعة ، ثارت احساساته وامتزجت حتى كاد يتعطل تفكيره . واقبل الترام فصعدت فتحية مسرعة وصعد خلفها دون ان يدرى .

واخيرا افاق من المفاجاة البغيضة والترام يجد فى سيره ، وقفزت فى راسه فكرة فنهض مسرعا وقفز من الترام ، وراح يعدو برهة وهو من الخوف يتلفت !

تصـــدير البشر والفنـــون والآداب

لابد لكل مشروع من راس مال عامل ، فاذا زاد راس المال على حاجات المشروع العملية كان الجزء الفائض عاطلا واصبح عبئا على المشروع كله ولتصحيح مثل هذا الوضع يحول راس المال العاطل الى مشروع آخر فى حاجة الى اموال ليصل الى كفايته التسوى .

واقتصاديات الامم لا تختلف فى كثير ولا قليل عن المشروعات التجارية فلابد لكل امة من راس مال بشرى ، يفـــكر ويخطط وينفذ ، فاذا زاد راس المال البشرى فى امة من الامم على حاجاتها الفعلية كان فائض راس المال البشرى عاطلا ، واصبح عبئا على الامة كلها ، والعلاج مثل هذه الحالة يصدر فائض البشر الى امم تشكو نقصا فى الايدى العاملة .

ولا يقصد بتصدير البشر الهجرة النهائية الى دولة اجنبية بل يقصد به فتح ابواب العمل فى مجالات خارجية للفائض البشرى فى دولة من الدول .

والانسان راس مال تتغير قيمته بتغير ثقافته وخبرته ، ومقدار حاجة المجتمع الذى يعيش فيه الى جهوده . وتلجأ بعض الدول التى يزيد فيها راس المال البشرى على حاجتها الى تصديره لتجنى فوائد ما يعيده راس المال البشرى من فائض جهده الى بلاده .

وتستفيد دول كثيرة من تصدير فائض ابنائها ، بل قد يكون عائد راس المال البشرى المصدر عصب اقتصاد تلك الدول ، فاليونان ولبنان وسوريا وايطاليا تصدر البشر الى البلاد التى تعانى نقصا فى الأيدى العاملة وتجنى فى ذلك فائدتين ، عائد الجهود البشرية المصدرة ، وتوفيرا فى ماكل اولئك الذين راحوا يعملون فى الخارج ومشربهم وملبسهم ومسكنهم وخدماتهم الصحية والاجتماعية .

ولو فرضنا ان دولة ما نجحت فى ان تصدر الف خبير ، واستطاع كل منهم أن يعيده الى بلده مائة جنيه كل شهر ؛ فمعنى هذا ان حصيلة هؤلاء الخبراء من العملات الاجنبية فى السنة ١٠٠٠ × ١٠٠ × ١٢ = ١٢٠٠٠٠٠ جنيه ، فاذا فرضنا أن عائد اى مشروع اقتصادى ٦٪ فعائد هؤلاء الخبراء يساوى عائد مشروعات اقتصادية قيمتها ٢٠٠٠٠٠٠٠ من الجنيهات .

ان ايطاليا وحدها تصدر الى المانيا الغربية مليون عامل ، وتصدر اليها يوغسلافيا نصف مليون . وما اكثر البلاد التى تحتاج الى خبراء وصناع وعمال فى العالم ، فافريقية والمانيا الغربية وامريكا الجنوبية وبعض البلاد العربية فى آسيا وافريقيا تشكو نقص الأيدى العاملة بها ، مما حد ليبيا الى عقد اتفاقيات مع تشاد والمغرب والسودان لتوريد خبراء وعمال زراعيين ، بينما تشكو مصر من تضخم الطاقات البشرية المعطلة .

اننا نقاسى من تضخم راس المال البشرى وزيادته زيادة هائلة على حاجة البلاد الفعلية ولمكانياتها . ولو اننا قد نجحنا حتى الآن فى ايجاد عمل للقادرين على العمل الا ان ذلك كان فى بعض الأحيان على حساب الكفاية الاقتصادية للمشروعات مما ادى الى

خلق بطالة مقنعة ؛ وهذا النجاح لا يمكن أن يستمر طويلا فسنضطر الى أن نقف مشدوهين أمام السيل الجارف من أبنائنا المتطلعين الى العمل .

لقد تفاقمت مشكلة زيادة السكان عندنا فنادى الاقتصاديون والمصلحون الاجتماعيون بضرورة تنظيم النسل . وانى أرى أن هذه الدعوة لا تحل مشكلة قد وقعت فعلا . بل تحاول أن تجد حلا للمشكلة فى المستقبل وأن تحد من خطورتها . اننا نقاسى الآن فعلا من الانفجار السكانى ، وليس لهذه المشكلة من حل الا أن تتفجر الأرض بآبار الزيت أو نجد سوقا خارجية لفائض رأس مالنا البشرى او أن يمن الله علينا بالحسنيين معا .

ان البطالة السافرة والبطالة المقنعة وازدحام الوحدات الاقتصادية والفنية واجهزة الدولة بأفراد لا يستغلون كل طاقاتهم فى العمل رأس مال معطل ، بل رأس مال يستهلك اكثر مما ينتج مما يعود على اقتصادنا القومى بالضرر ويجعل أمر التخطيط السليم مستحيلا ؛ لذلك آن لنا أن نفرط فى تصدير فائض رأس المال البشرى ، لنحقق التوازن بين الانتاج والاستهلاك ولنجنى فوائد ما يعيده رأس المال البشرى المعطل عندنا من فائض جهده فى الخارج .

وعلى مصر واجبات يحتمها عليها تاريخها الطويل ، فهى أقدم بلاد العالم معرفة بالزراعة واقامة الخزانات والسدود فواجبها حيال افريقية أن تنهض بعبء زراعة القارة التى عاشت حتى العصر الحديث على الفطرة وأن تمدها بالمهندسين الزراعيين ومهندسى الرى والعمال الزراعيين والبيطريين والأطباء ونحوهم .

فى السودان ، وفى الصومال ، وفى الحبشة ، ملايين الأفدنة الصالحة للزراعة والتى تحتاج الى الأيدى العاملة بينما

عندنا طاقات زراعية معطلة ، فلو أمكن تصدير تلك الطاقات الى البلاد التى فى شدة الحاجة اليها ، لحققنا الرخاء لتلك البلاد وجنبنا فوائد رؤوس اموالنا البشرية المستثمرة واسترحنا من طاقات مستهلكة .

★ ★ ★

سافرنا فى بعثة اقتصادية فى عام ١٩٦١ الى الصومال وقد تم الاتفاق بيننا وبين الحكومة الصومالية على ان نقيم هناك مجزرا وان ننشىء صناعة السكر وعلى ان نستصلح الاراضى ونزرعها . وفى الصومال اكثر من عشرين مليونا من الافدنة البكر الصالحة للزراعة وسكانها لا يزيدون على مليون ونصف مليون نسمة ، ولقد اشفقنا على انفسنا من خوض غمار هذه المغامرة وان ابت المانيا الغربية فيما بعد استعدادها ان تقيم المجزر وان تتقاضى ثمنه من امعاء الحيوانات لصناعة السجق الذى تشتريه المانيا ومن حوافر الذبائح ..

ولقد قامت روسيا بانشاء مجزر هناك ، وتقوم الآن الصين الشعبية باستصلاح الاراضى وزراعتها آليا . واعتقد ان هذا لن يثبط همتنا بل على العكس سيدفعنا الى اقتحام هذا الميدان الجديد خاصة وان الظروف جميعها فى مصلحتنا ، فالعلاقات الاقتصادية بين الصومال ومصر كانت قائمة منذ اقدم العصور ، منذ عهد حتشبسوت . ولغتنا ولغة الصومال واحدة وديننا ودينها واحد مما ييسر الزواج بيننا وبينهم والاندماج فيهم .

★ ★ ★

ان افريقيا والدول النامية فى آسيا فى حاجة الى ايد خبيرة لزراعة المساحات الشاسعة التى لم تزرع بعد ونحن ولله الحمد من

اول الدول التى عرفت الزراعة فى العالم ، فواجبنا أن ننهض بهذه المسئولية وأن هذه الدول فى حاجة الى أطباء ومهندسين ومحاسبين وزراعيين وفنيين وفى رايى أن الجامعة الأزهرية فى وضعها الجديد اقدر على النهوض بهذا العبء وتزويد تلك البلاد العربية بحاجتها من الخبراء والفنيين ؛ لما للأزهر الشريف من سمعة طيبة فى هذه البلاد . وعلى ذلك ينبغى أن تخطط الجامعة الأزهرية سياستها على تخريج أطباء ومهندسين وتجاريين وزراعيين للعمل فى الخارج تأدية للرسالة العظيمة التى ينبغى أن ننهض بها .

وينبغى على الدولة معاونة الراغبين فى العمل فى الخارج ، ووضع جميع التسهيلات لهم . وقد قامت الدولة فى الآونة الأخيرة بتيسير خروج الراغبين فى العمل الذين قد حصلوا على عقود للعمل ، وهذا عمل مشكور ولكنه ليس كل العمل المطلوب من الدولة ، فمن العسير على العمال الزراعيين أن يبحثوا لأنفسهم عن العمل فى الخارج بل انه من العسير حتى على المثقفين أن ينهضوا بذلك ، لذلك اقترح :

١ ـــ انشاء جهاز فى الدولة مقوم بالاتصال بالدول التى تحتاج الى ايدى عاملة وأن ينظم معها ايفاد القوى البشرية المصرية .

٢ ـــ انشاء شركات زراعية تختص بالعمل فى الخارج ، يكون لها حق المساهمة مع شركات وطنية فى اصلاح الأراضى وزراعتها .

تصدير الفنون والآداب :

كانت مصر من أهم البلاد المصدرة للمصحف الكريم والكتب الدينية والكتب المدرسية ، ولكن فى السنوات الأخيرة ، نظرا لارتفاع أثمان الورق والطباعة قامت دول لمنافسة جمهورية مصر

العربية فى ميدان طبع المصحف الشريف والكتب الدينية . من هذه الدول اليابان وتطبع وحدها حوالى ١٥ مليون مصحف فى السنة ومنها هونج كونج ومنها اسرائيل للأسف الشديد .

وكانت مصر هى الدولة العربية الأولى فى طبع الكتب المدرسية ولكن قامت مطابع فى لبنان وفى شمال افريقية لطبع تلك الكتب دون استئذان اصحابها وقد ساعد على ذلك نقص الورق وارتفاع اثمانه ولاعادة طبع المصاحف بالجمهورية العربية ، ولضمان عدم وجود اخطاء او تحريف بها يقترح أن تشجع اقامة مطبعة ضخمة فى المنطقة الجمركية الحرة لتقوم بطبع المصاحف بعد مراجعتها فى الجهات المختصة وتقوم بطبع الكتب الدينية والكتب المدرسية التى تحتاج اليها كل البلاد الناطقة باللغة العربية .

وتجد الأشرطة السينمائية رواجا فى البلاد العربية والبلاد الآسيويه والافريقية ومن الممكن ان نجد لها سوقا فى كندا وامريكا الجنوبية وكل البلاد التى بها جاليات عربية .

اننا اقدر الشعوب العربية على مخاطبة العاطفة الدينية فى البلاد الاسلامية ، فلو اهتمت السينما المصرية باخراج افلام دينية فستجد رواجا فى اندونيسيا والباكستان والهند وفى كل بقاع الأرض التى ينتشر بها المسلمون . واذكر اثناء زيارتى لأندونيسيا ان وجدت فيلم « بلال مؤذن الرسول » يعرض هناك وقد علمت ان عرضه استمر ستة اشهر كاملة .

وقد وجدت اسطوانات المطربين والمطربات المصريين منتشرة انتشارا يثلج الصدر فى كل بلاد آسيا ، ولكن هذه الاسطوانات لا تصدر من مصر للأسف الشديد ، بل تطبع فى سنغافورة ولا نستفيد من عائد اسطوانات مطرباتنا ومطربينا .

وان الحديث عن المطربين والمطربات يجرنا الى الحديث عن دورهم فى جلب عملات اجنبية لبلادنا ، ففريق الخنافس قد طاف فى امريكا زهاء بملايين الدولارات . واظن ان مكانة مطربينا ومطرباتنا فى العالم العربى مكانة مرموقة . فلماذا لا يقوم هؤلاء المطربون والمطربات باحياء حفلات تحت اشراف الدولة لجلب العملات التى نبنى عليها صرح كياننا ؟ .

انى اعتقد أن من الخير ان تقام الحفلات الأولى لاغنيات مطرباتنا ومطربينا فى عاصمة من العواصم العربية المتعطشة لفننا الغنائى من أن تقام هنا فى القاهرة ، فمثل هذا العمل سيزيد رصيدنا من العملات الحرة فى البنوك وسيمكننا من تنفيذ خطط التنمية .

والكتاب الأدبى قادر على أن يكون موردا من موارد العملات الصعبة لو يسرنا له سبل انتشاره وهذا يمكن ان يتاتى باقامة مهرجانات أدبية فى الدول العربية يحضرها كبار كتابنا وأن تباع كتبهم فى هذه المهرجانات وأن تحدد اسعار مرتفعة للكتب التى يوقع عليها كبار كتابنا .

تصدير الرياضة :

انتقال التعصب للأندية الرياضية من جمهورية مصر العربية الى كل البلاد العربية تقريبا ، واعتقد انه لو اقيمت مباراة الكأس النهائية فى عاصمة من العواصم العربية ، فى الكويت مثلا ، فالايراد الذى سنحصل عليه سيفوق ما سنحصل عليه من ايراد اذا ما اقيمت هذه المباراة بيننا علما بأن ذلك الايراد سيكون بعملة صعبة .

ومن الممكن ان تقام مباريات بين الزمالك والأهلى فى عواصم

اخرى وفى هذا دعاية طيبة لنا واشباع رغبات اخواننا العرب المتعطشين لمثل هذه المباريات وعائد من العملات الاجنبية .

مراكب الفن :

ومن الممكن ان نخصص مركب لعرض منتجاتنا وآثارنا وفنوننا الشعبية وتطوف بموانى الدول الاوروبية ، تنقل اليهم قطعة من وطننا ؛ ومثل هذه المراكب تجد عادة اقبالا من الاجانب ، اذا ما سبقتها دعاية كافية وهى قادرة على أن تغطى مصاريف رحلتها واعادة فائض من العملات الاجنبية .

ومن الممكن أن تحمل هذه المراكب مندوبين وتجاريين يقومون بابرام العقود اثناء عرض منتجاتنا الوطنية .

المكاتب الخارجية :

من الملاحظ تفكك الصلة بين المكاتب التى تنشأ فى الخارج لخدمة نشاط تجارى او سياحى أو ثقافى ؛ ففى مدينة روما مثلا نجد مكتبا لشركة الطيران وآخر للسياحة وثالث للتجارة . لماذا لا ينشأ مكتب واحد قادر لخدمة أوجه نشاطنا المختلفة ، مكتب يليق بنا يقوم بخدمة شركات الطيران والسياحة والتجارة والثقافة ؟ .

اننا لو فعلنا ذلك لخفضنا من تكاليف المكاتب المختلفة ولاقمنا مكتبا يعكس نهضتنا الحديثة بكل معنى الكلمة ولأمكننا أن نزوده بمسئول قادر على النهوض بهذه الاعباء التى تعود علينا بالخير فى النهاية .

قوافل الصـــداقة :

الفنون والآداب هى الصلة التى تربطنا بالبلاد العربية ؛ دون ان تشوبها شائبة ، لذلك اقترح ان تعد قوافل الصداقة من المطربين والمطربات والادباء والفنانين والفرق الشعبية وان تطوف تلك القوافل بالدول العربية تعرض آخر ما انتجناه من افلام ومسرحيات وكتب أدبية وتحيى حفلات غنائية .

استيراد البشر :

انى أشجع كل الوان التصدير ، لأن التصدير معناه جلب عملات وادعو الى التضييق فى الاستيراد .. الى استيراد ما تدعو اليه الضرورة القصوى لان الاستيراد معناه خروج عمـلات او محاصيل كان من الممكن بيعها والحصول على عملات اجنبية عوضا عنها ، ولا فرق بين استيراد من كتلة غربيـــة او كتلة شرقية . فالاستيراد فى كل صوره عبء على الميزانية . وعلى الرغم من ذلك فهناك استيراد واحد احبذه وادعو اليه واطلب المزيد منه ، الا وهو استيراد البشر ؛ ففى ورود السياح الى بلادنا دخول لعملات اجنبية نحن فى اشد الحاجة اليها .

ليس امامنا لنستطيع ان ننفذ خططنا الا ان نصدر ونصدر ونصدر وان نعاون كل العاملين فى ميدان التصدير ، فهم يؤدون للبلاد خدمة جليلة ، وانى ادعو ان نفتح ابواب التصدير للجميع لنحقق اهدافنا وان يكون شعارنا : التصدير لمن استطاع اليه سبيلا .

الفهرست

	صفحة
صفقة	٣
معقول	١٢
ارملة من فلسطين	٢٠
كشك الموسيقى	٤٥
الجوع	٦٤
الغيب	٧٨
فاجرة	٨٤
واحة الخيال	١٥٥
تصدير البشر والفنون والآداب	١٦٨

رقم الايداع ٢٥٩٤

الترقيم الدولى . — ٤٨١ — ٣١٦ — ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الثمن ١٢٠ قرشا

To: www.al-mostafa.com